الشهيد الصدر

يحيى عصر الظهور



صاحب الحركة الصغرى
للامام المهدي (عليه السلام)

من فكر السيد
أبي عبد الله الحسين القحطاني

تأليف
خلدون الماجدي

دار المحجة البيضاء



الشهيد الصدر يُحيي عصر الظهور

صاحب الحركة الصغرى

للإمام المهدي عليه السلام

الشهيد الصدر يُحيي عصر الظهور

صاحب الحركة الصغرى

للإمام المهدي عليه السلام

من فكر السيد

أبي عبد الله الحسين القحطاني

بقلم

خلدون الماجدي

دار المحجّة البيضاء

هوية الكاتب

اسم الكتاب: .....الشهيد الصدر يحيي عصر الظهور صاحب الحركة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام

المؤلف .... خلدون الماجدي

الطبعة الأولى عام .... ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٦هـ

الطبعة الثانية في بيروت عام .... ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ

عدد النسخ ١٠٠٠

(تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ...)

يحيى بن زكريا عليه السلام متّى ٣: ٢

(الفرصة للطاعة موجودة دائماً والفرصة للتوبة موجودة وباب التوبة مفتوح دائماً ما دام النفس موجوداً)

الشهيد الصدر / جمعة ١٧

(وخفاء شخص المهدي سلام اللّه عليه وهذا معناه إننا لا زلنا على مستوى القصور والتقصير والذلة أمام اللّه سبحانه وتعالى حتى السيد محمد الصدر..)

الشهيد الصدر / جمعة ٢٤

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

البريد الإلكتروني (لمعد الكتاب)

Mohedon52@yahoo.com

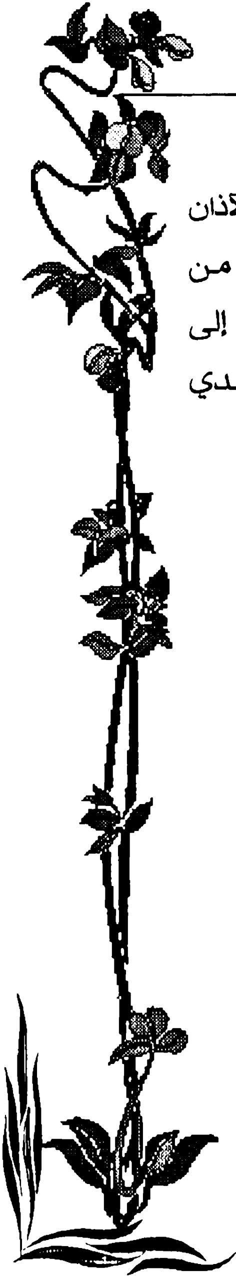


الرويس مفرق محلات محفوظ ستورز بناية رمّال

ص.ب ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E mail almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



الإهداء

إلى الصوت الهادر الذي صدع في الآفاق ففتح الآذان وفتق العقول في فهم الحقائق الخافية، إلى من صفع وجه الأمة فأخرجها من غفلتها الطويلة إلى الشهيد السعيد محمد محمد صادق الصدر أهدي هذا الجهد المتواضع.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً.

وبعد...

إن من سنن الله تعالى التي سنها في خلقه والتي نطق بها الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ وجاء في تفسير هذه الآية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) حيث قال: **(والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطئون طريقهم ولا تخطئكم سنة بني إسرائيل)**[1].

فالسنن التي أجراها الله تعالى بين عباده لابدّ أن تنطبق على باقي الأزمنة وها هي سنة من السنن تنطبق في هذا الزمان وقد انطبقت على سيدنا السيد الشهيد السعيد محمد صادق الصدر رحمه الله وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال هذا البحث، وقد سبق أن كان هذا الكتاب عبارة عن كتابين مستقلين هما كتاب (الشهيد الصدر يوحنا القرن العشرين) وكتاب (حركة الشهيد الصدر الحركة الصغرى للإمام المهدي) فارتأينا أن نجمع بينهما تحت هذا العنوان ليكونا سفراً واحداً جامعاً للدور التاريخي والمصيري الذي أنيط بالسيد الشهيد الصدر في التمهيد لدولة العدل

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج ٢٩ ـ ص ٤٥٠.

الإلهي وكانت الطبعة الأولى في عام ٢٠٠٦م وقد ساهم في ترجمة هذه الحقيقة التي هي من فكر السيد أبي عبد الله الحسين القحطاني إلى جنبي أحد الأخوة المخلصين فجزاه الله خيراً.

قد نال هذين الكتابين استحسان الكثير من القرّاء من عشاق الإمام المهدي عليه السلام وأثرت في نفوس العديد من المتلقين الواعين من منتظري طلعة القائم الغراء بكلِّ شغفٍ وشوق، إلى الدرجة التي كان الكثير ممن قرؤوا تلك الأسطر يتصلون بمكتب السيد القحطاني في ذلك الوقت مراراً وتكراراً ويبدون إعجابهم بالفكر المطروح بين ثنايا هذا الكتاب، والحقيقة أن سبب ذلك التأثر الواضح على الجميع هو نوع الفكرة العميقة التي طرحت في البحث، وكيف تمكن تاريخ الإنسانية من تكرار ذاته وإعادة تصوير المشهد الرسالي بكيفية ونسق عجيبين، من عصر السيد المسيح عليه السلام وصولاً إلى العقد الأخير من القرن العشرين، وكيف يخط التأريخ أسطر حديثة في سجله لا تكاد توجد مثيلاتها قبل قرون مرت!.

إن قصة نبي الله يحيى عليه السلام استوقفت العديد من الكتّاب والمؤلفين من ديانات وقوميات شتّى وفي مناسبات شتّى أيضاً، لأسباب عديدة منها اعتبار شخصية يحيى عليه السلام حلقة وصل بين ديانات متعددة كالمسيحية والإسلام، إضافة إلى النهاية التراجيدية المحزنة للقصة والتي انتهت بمقتل النبي يحيى عليه السلام، كل ذلك دعا المفكرين والباحثين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعقائدية إلى الخوض في تناول ملامح هذه الشخصية العظيمة، وأن الدافع ذاته هو من كان وراء تناول العديد من الباحثين أيضاً إلى خط القلم وسطر الكلمات حول شخصية السيد الشهيد (قدس سره)، والذي كانت حركته في العراق أواخر القرن الماضي محط أنظار العالم الإسلامي وغيره، ولا تكاد تخلو مكتباتنا اليوم من كتاب أو مجلد يختص بسيرة حياة الشهيد الصدر بالبحث والتحليل والنقاش.

إلا أن هذا البحث يمكن أن يكون مختلف في أسلوب الطرح والسرد، فهو ليس كتاب سردي كسيرة ذاتية بقدر ما هو محاولة تناول حركة الشهيد الصدر (قدس سره) من جهة الربط التاريخي بين حقبة زمنية قديمة ترجع إلى ألفي سنة تقريباً وبين الواقع المعاصر للعقد الأخير من القرن العشرين.

ولا بدّ من التذكير بأن النصوص التي تذكر النبي يحيى عليه السلام والتي تطرقنا لها في هذا البحث كانت تستند بشكل كبير على النصوص الإنجيلية للكتاب المقدس إلى جانب القرآن والنصوص الإسلامية، السبب في ذلك يعود إلى أن تفاصيل حركة يحيى عليه السلام تم تناولها بشكل أكثر تفصيلاً في الإنجيل دون القرآن، ولهذا حاولت جاهداً تبسيط المعلومة والتعريف بالمصطلحات الإنجيلية التي تبدو للقارئ المسلم غريبة ومبهمة بعض الشيء بسبب الافتقار النسبي إلى ثقافة الأديان إن صح التعبير، وقد اعتمدنا في ذلك على مطبوعات الكتاب المقدس مع تفسيره لكي نعين القارئ على مهمة متابعة البحث بشكل يسير وسلس. إضافةً إلى الإستناد على ما سجل من خطب السيد الشهيد على منبر الجمعة وما كتب حول شخصيته المباركة من كتب..

وبالرغم مما لاقاه هذا الكتاب من استحسان كبير من جمهور القرّاء من عشاق السيد الشهيد الصدر (قدس سره) إلا أنه في الوقت ذاته قد وجهت إليه بعض الإشكالات بدعوى عدم جواز المقارنة بين شخص النبي المعصوم وبين السيد الشهيد، فكانت هنالك ردة فعل عكسية تجاه هذا الكتاب من قبل أولئك الذين وجهوا الإشكال، بدلاً من استخلاص الفائدة من المقارنة بين الحركتين (حركة الشهيد الصدر وحركة نبي الله يحيى عليه السلام) من خلال المرور بلمحات مقتبسة من سيرة حياة كليهما، والوقوف تأملاً على مراحل نشوء دعوة كل رجل منهما على حدة ومن ثم

الانتقاء الترابطي بين فحوى نبوة يحيى عليه السلام وبين حركة السيد الشهيد (قدس سره) النهضوية بالإسلام عموماً والتشيع خصوصاً، تلك الحركة التي سنثبت في هذا البحث بأنها الحركة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام، من خلال لفت الأنظار إلى التشابه الكبير بين حركة الشهيد الصدر (قدس سره) من جهة وبين حركة الإمام المهدي عليه السلام من جهة أخرى.

والتي أشار الأئمة عليهم السلام إلى سماتها وعلاماتها.

ومن الجدير بالذكر أن حركة الشهيد الصدر ما هي الا صورة مصغرة لحركة مولانا صاحب العصر والزمان من حيث ظهور دعوته المباركة في نفس المكان المعظم الذي اتخذه شهيدنا الصدر (قدس سره) منبراً لهداية الناس.

لقد أثار المعترضين على هذا الكتاب عدة إشكالات حول جدوى هذا البحث، وأنا شخصياً لا أستغرب ردة الفعل السلبية تلك من أعداء ومبغضي شخص الشهيد الصدر (قدس سره) من الذين وقفوا ضد حركته المباركة سواء في أيام نشوءها وظهورها في أواخر القرن الماضي أو في أيامنا هذه، فدأب أولئك وعلى مر الأزمنة بالقدح في سيرة العلماء العاملين كأمثال السيد الشهيد واعتبار شخصه الشريف أنموذجاً خطيراً ربما من شأنه أن يلفت أنظار وقلوب المسلمين الواعين إلى حقيقة «طالما ظلت لعقود من الزمان خافية على عامة الناس».

تسلط المؤسسة الدينية التقليدية والتي طالما ظلت لعقود من الزمان ممسكة بزمام القيادة الإسلامية في سبيل تحقيق مصالح ومطامع شخصية لم تعد خافية على ذي حجى في عصر أضحت فيه الكلمة في المشرق تصل في طرفة عين إلى المغرب.

لكن ما يثير الإنتباه اكثر هو اعتراض البعض ممن يعتبرون من

محبي السيد الشهيد وفي ذات الوقت يتحفظون على موضوع البحث بل ويعتبرون الطرح الموجود في الكتاب فيه الكثير من الغلو على حدٍّ وصفهم، فكيف يكون الشهيد الصدر (قدس سره) كالنبي يحيى بن زكريا عليه السلام..؟!

وكيف تتم المقارنة بين رجل دين شيعي مهما بلغ حدّ القدسية بشخص الرسول المختار من السماء؟!، ومن يجرؤ على وضع تراث مرجع ديني من القرن العشرين قبال رجل اختارته السماء للوحي والتبليغ..!

ونحن نقول إن من يقول هذا الكلام إنما لم يتوصل إلى لب الفكرة الأساسية لموضوع الكتاب، فليس هنالك إي باحث أو مفكر إسلامي مهما كانت المدرسة التي ينتمي إليها يقول بعصمة غير أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام الموصوفون في القرآن والسنَّة الشريفة، ومن هنا ننتهز الفرصة لكي نفند هذا الإدعاء ونرد هذا النقد الهزيل من قبل هؤلاء المشككين، ونؤكد ونقول إننا مع ما نعتبره من أن صاحب البحث رجلاً مقدساً ممهداً إلا إننا في ذات الوقت لا نقول بعصمة الشهيد الصدر (قدس سره) ولا ننسب إليه مقاربة منزلة النبي المعصوم أو الإمام المفترض الطاعة، والذي ينسب إلينا غير هذا القول فبيننا وبينه أسطر وصفحات هذا السفر البسيط من ريع فكر السيد القحطاني.

إن القارئ الكريم ربما تكون له المعرفة ولو نسبية بشخص نبي الله يحيى عليه السلام من خلال ما ورد في شأنه في مصادرنا الإسلامية والروائية، لكن يبقى السؤال: هل يعرف القارئ شيئاً عنه من نافذة أخرى تطل من جهة المصادر غير الإسلامية كالمسيحية مثلاً؟... ونحن قد أردنا في صفحات هذا الكتاب أن نلفت نظر القارئ إلى مثل هكذا مصادر مهمة عانت من غبن كبير من قبل العلماء المسلمين طيلة عقود من الزمان،

فنحن نفتقر إجمالاً إلى المعرفة ولو البسيطة بما يحتويه الكتاب المقدس ـ التوراة والإنجيل ـ من إرثٍ إنساني كبير ولعل السبب يعود إلى الفهم والتفسير الخاطئ لبعض آيات القرآن التي ذكرت مسألة التحريف الذي أصاب كتب اليهود أو النصارى، كقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾(٣).

والحقيقة إن الفهم الشائع لدى عوام الناس ممن لم يطلع على التفسير هو القول برفض نصوص الكتاب المقدس كلياً وهو أحد أهم أسباب تغافل المسلمين عن موروث الكتب السماوية التي سبقت الإسلام، لكن الحقيقة يزول عنها الغبار لدى المثقف الديني بمجرد أن يعرف التفسير الواضح الصائب للآيات المذكورة حول تلك الأسفار، وكذلك حين نلتفت إلى الأخبار التي تذكر محاججة الأئمة عليهم السلام لعلماء أهل الكتاب من خلال كتبهم التي بين أيديهم.

لكن علينا أولاً أن نلقي الضوء على المعنى اللغوي والتفسيري للتحريف المذكور في الآيات القرآنية، فالتحريف في اللغة العربية ـ كما

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤١.

هو واضح ـ يرجع إلى الجذر (حَرَفَ) أي إمالة الشيء والعدول عنه عن مواضعه واتجاهه الأساسي الموجود أو الذي ينبغي أن يكون .

وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشياء فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[١] .

ويقال كذلك: (حرف الكلام تحريفاً: بدله أو حرفه عن معناه. يحرفون: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أي يصرفونه عن معناه)[٢].

وقد قال جملة من الباحثين بعدم التعامل مع كتب الأديان السابقة بحساسية تجعلنا ننفر منها كل النفور، فلا بدّ من وجود مشترك بين هذه الأديان وعلى مستويات مختلفة.

إننا نرى في تأريخنا الإسلامي الكثير من المحاججات بين الأئمة عليهم السلام وبين أهل الديانات ولم تكن هذه المحاجحات مبنية على الفكر الإسلامي فحسب ولكنها كانت تدور في دائرة كتب هذه الديانات نفسها وهذا يدلنا على أن هذه الكتب حاوية على الكثير من الحقائق والتي بقيت بعيدة عن أيدي المحرفين.

ولو كانت هذه الكتب كما يزعم البعض قد مسها التحريف الكلي لما كان لآل الرسول عليهم السلام المحاججة بها على أهل هذه الديانات ومن هذه المناظرات ما ينقل في كتب الأخبار من محاججة الإمام الرضا عليه السلام

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ، مج٣، ص١٢٩.

(٢) (معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط١،طهران: مطبعة أرمان، ١٣٦٣هـ، ج١، ص٢٤٨).

مع الجاثليق في أحد مجالس المأمون العباسي حين سأل جاثليق النصارى الخليفة العباسي قائلاً: (**يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحتج علي بكتاب أنا منكره ونبي لا أومن به؟ فقال له الرضا عليه السلام: يا نصراني، فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به؟ قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل نعم والله أقرّ به رغم أنفي..**)[١].

بالإضافة إلى ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام حول الحكم بين الأديان بقوله: (**أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم..**)[٢].

إن أسلوب الكتاب الذي بين أيدينا ليس هو المحاججة أو المناظرة لكنني أوردت هذه الروايات التي تؤكد أن أهل البيت عليهم السلام وهم الثقل الثاني بعد القرآن كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) هم ورثة الأنبياء والرسل لذلك فإن عندهم مواريث الأنبياء ومنها الكتب السماوية كما أنزلت، لكنهم لم يديروا ظهورهم لما بين أيدي أهل الملل من الأسفار والكتب، هذا يعني أن هذه الكتب لا تخلو من حق واضح كان الأئمة عليهم السلام يحتجون من خلاله، فالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله الذين اصطفاهم فيها الكثير من الأسرار والحقائق الإلهية التي ربما لا تزال عذراء لم يفتضها بشرٍ حتى اليوم، وإننا نحتاج إلى المرور على هذه الأسفار وفصولها وخصوصاً في قضية المخلص الذي وعدت به الأديان لكي ينقذ العالم والمظلومين من الشر والفساد في آخر الزمان، ولقد بقيت أكثر معالم تلك القضية المفصلية من مستقبل البشرية مكتسية بثوب الغيبية والغموض وليس ذلك إلا لحفظها من الأعداء ولكي يتم وعد

---

(١) (عيون أخبار الرضا ج١، ص ١٥٦).

(٢) بحار الأنوار ج٤٠، ص ١٤٤.

الله ﷻ لعباده الصالحين من تمكينهم في الأرض بعد أن كانوا مستضعفين.

إننا في فصول هذا الكتاب سنبين للقارئ الكريم أوجه الشبه بين الشهيد الصدر والنبي يحيى بن زكريا عليه السلام من جهة الإعداد وتهيئة القواعد الشعبية لقبول المصلح الآتي، فالنبي يحيى عليه السلام كانت مسيرته الشريفة هي التمهيد وإعداد الناس لتلقي دعوة السيد المسيح عليه السلام بالقبول حيث كان دائم النصح لهم بالتوبة والاستعداد لنصرة القادم والمتمثل بشخص السيد المسيح عليه السلام والذي ذكر في كلام الأنبياء السابقين بالمخلص الموعود، وكذلك الحال في شهيدنا الصدر (قدس سره) حيث كانت حركته المباركة دعوة للضمير الإنساني لترك الذنوب والالتحاق بدرب المؤمنين المنتظرين لإمامهم الغائب ذلك الإمام المخلص من تسلط الظالمين وظلم المتجبرين.

إن حركة الشهيد الصدر مثالاً مقتبساً من حركة الإمام المهدي عليه السلام وهي في الواقع تعريف للناس بقضية الإمام عليه السلام وبالمثال الذي يفهمه عامة الناس فضلاً عن خاصتهم فمن أراد أن يفهم دعوة الإمام المهدي عليه السلام ويتعرف عليها، وعليه أولاً أن يفهم حركة السيد الشهيد (قدس سره) ويتأملها جيداً. وهذا هو الهدف الأول من بحثنا هذا، أما فيما يخص الهدف الثاني فهو إظهار فضل السيد الشهيد (قدس سره) ومدى علاقته بالإمام المهدي عليه السلام وفاءً لدمائه الزكية التي أريقت في سبيل الحق والهداية والتمهيد لسيدنا ومولانا الإمام المهدي عليه السلام.

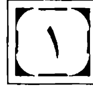
وأخيراً لا أملك أن أقول سوى أن أي عمل بشري لا يخلو من السهو والنسيان والخطأ فأطلب المعذرة من الله والإمام الحجة عليه السلام والمؤمنين إذا ما كان البحث فيه شيء من التقصير والقصور وأسأل الله تعالى أن يمكننا من خدمة مولانا صاحب العصر والزمان بكلِّ ما أوتينا من مقدرة وإمكانية حتى تكتحل عيوننا وعيون المؤمنين بالطلعة الغراء للولي الطاهر عليه السلام.

الفصل الأول

١ ـ يحيى أم يوحنا؟

٢ ـ ولادة يحيى عليه السلام

٣ ـ قصة ولادة السيد الشهيد (قدس سره)



يحيى أم يوحنا؟

اسم (يوحنا) هو اللفظ العبري لاسم نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام كما ورد في الإنجيل، ومعنى اسم (يوحنا) هو (الرب حنان)[1])

وقد انفرد النبي يحيى عليه السلام بالحنان اللدني الذي خصه الله تعالى به في القرآن بقوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[2]،كما انفرد العبد الصالح الخضر عليه السلام بالعلم اللدني، وسمي بيحيى المعمدان لأنه كان يعمد اليهود بالماء في نهر الأردن[3] قبيل دعوة السيد المسيح عليه السلام في أورشليم (القدس)، وهو يعتبر أحد أنبياء العهد القديم ويحظى بقدسية غير مسبوقة لدى المسيحيين وبمحبة وتبجيل عظيمين والسبب يعود إلى كونه هو من عمد السيد المسيح عليه السلام وكان صاحب البشارة العظيمة في أوساط المجتمع اليهودي يومئذ بظهور المسيح المخلص لليهود والعالم على حدٍّ سواء.

---

(١) التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص ٢٠٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٣.

(٣) يبلغ طول نهر الأردن نحو سبعين كيلومتر ويمتد الجزء الرئيسي منه ما بين بحر الجليل والبحر الميت، وكان هذا النهر هو الحد الشرقي ـ لفلسطين وقد وقعت هناك معظم الأحداث المهمة في تأريخ الأمة فعند نهر الأردن جدد بنو إسرائيل عهدهم مع الله ودعاهم يحيى إلى نفس المكان أن يفعلوا نفس الشيء: المصدر التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص١٤.

ارتبط اسمه بشكل كبير بما سماه (معمودية التوبة) على الرغم من أن التعميد[١] لم يكن جديداً في الديانة اليهودية حيث كان اليهود يعمدون كل من يدخل إلى ديانتهم، وكان الغريب والمفاجئ أن يقوم رجل دين و(كاهن) يهودي يتبع ناموس موسى ـ أي شريعة موسى ـ بتعميد الذين هم في أوساط الديانة اليهودية وهذا ما فعله يحيى (يوحنا)، رجل بدا كل شيء فيه غريباً بدءاً من مولده من أبيه النبي زكريا عليه السلام وأمه (اليصابات) بعد أن بلغا الكبر مروراً بالحياة الصوفية الخشنة التي قضاها في أروقة المعابد صغيراً والبرية أو الصحراء كبيراً انتهاءاً بمقتله المأساوي على يد طاغية زمانه (هيرودس) الحاكم الروماني لتكون له سنة من سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام فكلاهما ذبيح قد قطع رأسه.

بعد كل تلك القرون التي مضت على زمن ذلك الرجل العظيم في تأريخ الإنسانية يقف التأريخ إجلالاً له ليس لسبب تضحيته بالذات فحسب، بل للبشارة العظيمة التي ما زال صداها حتى اليوم يصدع في مسامع البشرية... (اعدوا الطريق للرب)[٢].. هو من تنبأ بظهوره النبي (أشعياء)[٣] في كتاب العهد القديم بقوله: (صوت صارخ في البرية ينادي اعدوا الطريق للرب إلهنا).

وهو من وصفه القرآن أنه صدق بالسيد المسيح في قوله تعالى:

---

(١) التعميد: هو التغطيس بالماء، والكلمة اليونانية للمعمودية في العهد الجديد هي Baptisma والتي تعني «غمر ـ تغطيس» الفعل لهذه الكلمة يعني «يغمس ـ يغرق».

(٢) متى ٣: ٣.

(٣) أشعياء: أحد أنبياء العهد القديم العظام ويخصص النصف الثاني من سفر أشعياء لوعد الخلاص حيث تنبأ أشعيا بمجيء المسيح وبمجيء الرجل الذي سيقدمه وهو يوحنا المعمدان. (التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص١٢٠).

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

لاقى النبي يحيى عليه السلام أشدّ العداء من قبل رجال الدين آنذاك بسبب أعماله وبشارته بالمسيح عليه السلام على الرغم من انتماءه مبدئياً للمعبد اليهودي كما كان أبوه زكريا عليه السلام من قبل، إلاّ أن المسار الذي اختطه لنفسه ومن خلفه وحي السماء ونور النبوة خلق له تلك الجبهة المعارضة من شبكة رجال الدين المنتفعين من حكم الرومان وسلطة المعبد ليقودوا بشكل أو بآخر استراتيجية مقتله المؤلم ليلاقي مصيره الذي لم يكن ببعيد عن مشهد مقتل أبيه زكريا عليه السلام في جذع شجرة بين المذبح والهيكل.

فأي جرم عظيم وأي وجه قبيح وأيادي ملوثة لأولئك الذين جلسوا على كراسي الأنبياء وخدعوا الناس باسم أولاد إبراهيم وأنهم أحق أناس بخلافة الأنبياء والرسل فلم يكفهم أكل السحت وملئ البطون حراماً من إرث الرسل وأموال الفقراء بل تعدوه إلى الذنب الأكبر الذي بكته السماوات والأرض حيث أسالوا دماء الصديقين الزاكية، لكنها سنة الله التي خلت في الأمم من قبل أن يقتل أطهر الخلق على يد أشر الناس ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

يوحنا أو يحيى.. هو الشاهد للحق كما يذكر الإنجيل أنه شهد لعيسى عليه السلام بأكثر من شهادة:

ـ شهد بأنه جاء ليهيئ الطريق للمسيح المنتظر إذ كان دوماً ما يردد نبوة النبي أشعياء: (**صوت مناد في البرية ينادي: اعدوا طريق الرب واجعله سبله مستقيمة**)[٢]

ـ شهد بأنه عبد وخادم للسيد المسيح عليه السلام: (**ولكن الذي يأتي**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) مرقس ١: ٣ ـ ٤.

بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل رباط حذائه)[١].

شهادة للمسيح بأنه سيرفع الخطايا عن العالم: **(هو ذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم)**[٢].

لقد كان أبرز معالم حركته هو تزامنها مع حركة النبي عيسى عليه السلام فكلاهما نشأ في عصرٍ واحد معاً لالتفات إلى أسبقية يحيى عليه السلام في الظهور والدعوة، وقد سبق في تأريخ أنبياء العهد القديم تزامن نبؤتان في وقتٍ واحد مثل نبوءة إبراهيم ولوط ونبوة موسى وشعيب وهارون ونبوءة يعقوب ويوسف عليهما السلام وغيرهما كثير، وغالباً ما تكون النبوات المتزامنة ملتحمة فيما بينها من حيث النشوء والترتيب والأهداف والنتائج بحسب ما يقتضيه التخطيط الإلهي ولعل نبوءة يحيى وعيسى المسيح عليه السلام من أكثرهن تميزاً وتأثيراً في النفوس إذ كانت حركة يوحنا بمثابة الإعلان عن قرب ظهور المخلص الذي ينتظره اليهود منذ فترة ليست بقليلة، ومن يتصفح فصول الإنجيل يجد عبارة سبق لها أن استوقفت العديد من الباحثين وهي تخص اللحظة التي يرسل بها يحيى ـ وهو في داخل السجن ـ تلاميذه المقربين منه ليوجهوا رسالة للسيد المسيح عليه السلام تضم بين طياتها سؤال مهم :**(أنت هو الآتي؟ أم ننتظر آخر؟)**[٣].

فيكون ذلكم الاستفهام غريباً نوعاً ما على اعتبار أن يحيى عليه السلام هو نبي مؤيد من السماء فكيف لا يمكنه أن يتعرف على شخص السيد المسيح!.. وهو نفسه قد شهد لعيسى ابن مريم عليه السلام من قبل بكلّ تلك الشهادات أمام الجموع وأمام التلاميذ!..

---

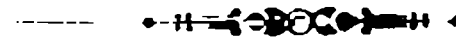
(١) متى: ١١: ٣.

(٢) يوحنا ٢٩: ١.

(٣) لوقا ٧: ١٩ ٢٠.

هل كان يقصد اختبار تلاميذه في طريقة التعرف على الحجة من غيره؟... إنها أسئلة كانت ولا زالت في أذهان الكثير ممن قرأ صفحات الإنجيل.

من بين كل تلك الأسئلة العديدة والوقفات اللافتة من سيرة حياة ذلك القديس هنالك أكثر من رحلة تستحق أن نمضي فيها بهدف الإحاطة ولو النسبية بشخصية البحث لنصل في النهاية إلى مقاصدنا الرامية لتوعية القارئ اللبيب واستسقاء المعين النظر من صفحات التأريخ الذي لا تزال أسفاره تكشف لنا الحقائق المجهولة وتنير أذهاننا المتعطشة لتقفي أثر خطى الولي الطاهر منجي البشرية ومخلصها من التيه والضلال بقية الله في أرضه ـ روحي فداه ـ، ونحن في الفصول القادمة من هذا الكتاب سنحاول قدر المستطاع تفصيل ملامح هذه الشخصية الفذة مع تعذر ذلك إلا بتوفيق من الله ورسوله وأهل البيت عليهم السلام لا سيما صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف).



٢

ولادة يحيى

ولادته في القرآن والتفسير

لم يقف القرآن على قصة مولد أحد من ولد آدم كوقوفه على مولد يحيى عليه السلام وليس ذاك إلا لأهمية العبرة الموجودة في القصة ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] أراد الله سبحانه من الإنسان المسلم والمصدق بدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وكتابه أن يتدبر في معاني تلك القصص التي سردت في مناسبات عدة داخل محتوى القرآن معجزة الرسول الخالدة، من بين تلك القصص قصة الإعجاز في مولد يحيى عليه السلام بعد طول يأس وقد ذكرت في ثلاث مواضع منه:

أولاً: سورة مريم:

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)﴾.

ثانياً: سورة الأنبياء:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ (٤١)﴾.

ثالثاً: سورة آل عمران:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٨٩) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠)﴾.

وقد ورد في تفسير الآيات الحاكية عن القصة ما يلي:

١ - ورد عن علي بن إبراهيم: روى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢)﴾ يقول: (ذكر ربك عبده فرحمه) ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ يقول: (ضعف) ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾ يقول: (لم يكن دعائي خائباً عندك) ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾ يقول: (خفت الورثة من بعدي) ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ يقول: (لم يكن لزكريا يومئذ ولد يقوم مقامه، ويرثه، وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار، وكان زكريا رئيس الأحبار، وكانت

امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان، وبنو ماثان، إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم، وهم من ولد سليمان بن داود فقال زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ يقول: (لم يسم باسم يحيى أحد قبله قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ) وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا فهو اليؤوس) قال: ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾: (صحيحاً من غير مرض)[١].

٢ ـ عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال: **(يا بن شبيب أصائم أنت؟ فقلت: لا، فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربه فقال: ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام)**[٢].

٣ ـ روى ابن شهر آشوب عن إسحاق الأحمر قال سألت الحجة عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾، فقال: **(هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليه عبده زكريا ثم قصها على محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرائيل وعلمه إياها وكان زكريا إذا ذكر محمدا وعليا**

---

(١) تفسير القمي ج٢، ص٤٨.

(٢) عيون الأخبار ج٢، ص٢٦٨.

وفاطمة والحسن والحسين سرى عنه همّه وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين غلبته العبرة ووقعت عليه الزفرة، فقال ذات يوم: إلهي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي فأنبأه الله في قصته فقال: كهيعص، فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم للحسين، والعين عطشه، والصاد صبره. فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب ويقول: إلهي أتفجع خير خلقك بولده إلهي أتنزل الرزية بفنائه إلهي أتلبس عليًّا وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحل هذه الفجيعة بساحتهما، ثم كان يقول: اللهم ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر واجعله وارثاً رضياً يوازي محله مني الحسين فإذا رزقتنيه فافتني بحبه ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده فرزقه يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر، وحمل الحسين ستة أشهر، وذبح يحيى كما ذبح الحسين ولم تبك السماء والأرض إلا عليهما)[1].

ولادة يحيى في الإنجيل

سنورد للقارئ الكريم ما جاء في الإنجيل حول قصة ولادة نبي الله يحيى عليه السلام حيث ورد:

(كَانَ فِي أَيّام هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيّا مِنْ فِرْقَةِ أبيّا، وامْرَأَتُهُ مِنْ بنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أليصاباتُ وَكَانا كِلاهُما بارّيْن أمامَ الله، سالكَيْن في جميع وصايا الرّبّ وأحْكامه بلا لَوْمٍ وَلَمْ يكُنْ لهُمَا

(١) في كتابه مناقب ال أبي طالب ج ٣، ص ٢٣٧.

وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلاهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ، حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبَخُورِ فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لَا تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلى الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: (كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا، لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟) فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ: (أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ، وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهذَا وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هذَا، لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ). وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتًا وَلَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى إِلى بَيْتِهِ وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّام حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً: (هكَذَا قَدْ فَعَلَ بِيَ الرَّبُّ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرَ إِلَيَّ، لِيَنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ)[١].

وجاء أيضاً: (وَأَمّا أَليصاباتُ فتمّ زمانُها لتَلِدَ، فولَدتِ ابْنًا وسمع

---

(١) لوقا ١: ٥ ـ ٢٥.

جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا، فَفَرِحُوا مَعَهَا وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاؤُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ، وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: (لَا! بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا) فَقَالُوا لَهَا: (لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهذَا الاسْمِ) ثُمَّ أَوْمَأُوا إلى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى فَطَلَبَ لَوْحًا وَكَتَبَ قَائِلاً: (اسْمُهُ يُوحَنَّا). فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ، فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ: (أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هذَا الصَّبِيُّ؟) وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ)[١].



(١) (لوقا ١: ٥٧ ـ ٦٦).

٣

قصة ولادة السيد الشهيد (قدّس سره)

بمجرد أن نقرأ قصة المولدين ونعني بهما مولد النبي يحيى عليه السلام ومولد السيد الشهيد (قدّس سره) نقف عند أول محطة من رحلة البحث في الصفات المشتركة بين الرجلين والتي أشرنا إليها في مقدمة الكتاب، المحطة الأولى هي قصة المولد غير المألوفة في القانون الاعتيادي للبشر، صحيح أن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام قد سبق له أن حظي بمعجزة مثيلة حين ولد له إسحاق عليه السلام من زوجته بعد الكبر والمشيب ويأس زوجه من الإنجاب كما هو معلوم، لكن تبقى هذه الحالة خرقاً للناموس الطبيعي لبني آدم، ومن ضمن من حظي بهذه الحالة الفريدة من نوعها من الإنجاب هم والدا السيد الشهيد (قدّس سره)، حيث يذكر أن والد السيد الشهيد (محمد صادق الصدر رحمه الله) مضى على زواجه حوالي عشرين سنة ولم يرزق بذرية وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه ذرية طيبة، وفي السنة العشرين على الزواج رزقه الله تعالى أن حج البيت الحرام مع زوجته بنت الشيخ رضا آل ياسين، وخلال الحج دعوا الله مخلصين ان يرزقهم ولداً صالحاً ومن ثم زارا قبر النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) في المدينة المنورة وطلبا منه أن يتشفع لهما إلى الله تعالى ليرزقهما ولداً صالحاً واستجيبت دعوتهما فحملت زوج السيد محمد صادق بالسيد الشهيد

وولد في يوم ولادة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) في ١٧ ربيع الثاني عام ١٩٤٣م[١].

قصة المولد تلك باتت معروفة لدى القاصي والداني ممن عرف السيد الشهيد (قدس سره) وبالرغم من اعتبار تلك الحالة الفريدة من نوعها خصوصاً مع تقدم الزوجة في السن، لكن يبدو أن كلمة (مستحيل) لا وجود لها بين صفحات قاموس الرحمة الإلهية ولا في حياة أولياء الله الصالحين.

وقد عقب أحد الباحثين على حالة زكريا عليه السلام حين ولد يحيى بقوله: (وتشبه حالة رجل الدين زكريا وزوجه أليصابات حالة إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة، إن الله يستطيع أن يفعل ما لا يستطيع الناس فعله، لا يعسر على الله شيء قط، فلما وعد إبراهيم أنه سيصير أباً لأمة عظيمة، كان إبراهيم قدر التسعين من عمره ولما سمع الناس إبراهيم يتحدث عن ذلك حسبوه خرفاً لأن الناس محدودين في فهمهم لمقاصد الله، أصبح إبراهيم خليل الله لأنه استطاع السير معه من خلال العبادة والصلاة....)[٢].

هذه هي سنة الله عز وجل مع أولياءه فمن يمتلك قلباً كقلب زكريا لا بدّ أن تستجاب الدعوة ولو بعد حين، وهي درس كبير للبشرية في أن الخالق الرحمن الرحيم لا يعزب عن مقدرته شيء مهما كان بعيد المنال لدى الناس، ولا شك أن إيمان والد السيد الشهيد (قدس سره) ويقينه بأن الله لا يرد خائباً من ساحة ملكوته كان السبب وراء حصول تلك المعجزة

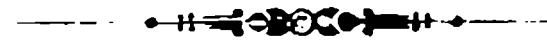
---

(١) ومضات عرفانية عن العارف الكامل آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر (قدس سره)/ ص٢١.

(٢) كتاب الإنجيل قراءة شرقية /مظهر الملوحي ونخبة من المختصين/ الطبعة الخامسة سنة ٢٠٠٤م ـ ص ١٦١ ـ ١٦٢.

في عصر لم يكن فيها علم الأجنة قد بسط نفوذه في منطقة الشرق الأوسط بعد، لذلك حرص الوالدان أن يربيا مولودهما العزيز على قلبيهما تربية صالحة قوامها نهج وفكر أهل البيت عليهم السلام، فيا ترى هل كانا يعلمان أن ولدهما سيكون يوماً من الأيام سبباً في هداية كثير من الناس وسيغير النهج التقليدي للحوزة ليس في العراق فحسب بل في سواء العالم الشيعي؟...هل كان في تصورهما أن ذلك المولد الجديد سيقض مضجع السلطة الجبروتية في العراق ويوبخ أمريكا وإسرائيل؟...من منهما كان يتوقع أن يقوم الولد الصالح ذاك بإزاحة عثرة كبيرة من طريق الإمام المهدي عليه السلام وذلك بتذكير الناس بمظلومية إمامهم الغائب وحقه المسلوب؟....

إن جواب الأسئلة تلك منوط بالوالدين رحمهما الله وربما سيكشف التأريخ يوماً أنهما كانا قد تنبئا بأن مولودهما سيكون له شأن كبير عند الناس كما تنبأ من قبل الناس بيحيى عليه السلام يوم ولد لزكريا حين تمت تلك المعجزة في زمانهم فعرفوا أنه سيكون له شأن عظيم: (وصارت هذه الأمور موضوع حديث في جبال اليهودية كلها وكان جميع السامعين يضعونها في قلوبهم قائلين: ترى ماذا سيصير هذا الطفل؟ إن يد الرب كانت معه..)[1].



---

(١) لوقا ١: ٦٥ ـ ٦٦.

الفَصْلُ الثَّانِي

الصفات المشتركة بين نبي الله يحيى والشهيد الصدر



زهد يحيى عليه السلام

أولاً: زهد رجل الدين

لا شك أن يحيى كان يختلف تماماً عن غيره من القادة الدينيين آنذاك، فقد فضل أن يعيش في البرية[1] ليبعد كل البعد عن كل ما يعوقه عن إرهاف السمع لأقوال الله ليستحوذ على انتباه كل الشعب وليكون رمزاً للانفصال الواضح عن رياء القادة الدينيين الذين فضلوا بيوتهم الفاخرة ومراكزهم الرفيعة عن إتمام عمل الله[2]، بالإضافة إلى ذلك فقد كان كثير منهم طامعين وأنانيين مهتمين بأن ينالوا المديح من الناس، في الوقت الذي كان فيه هَم يوحنا (يحيى) أن ينال المديح من الله[3].

لقد عاش حياة غريبة عن أجواء المعبد اليهودي على الرغم من انتماءه مبدئياً للمعبد ـ كما كان والده من قبل زكريا ـ لكن كلاهما عانى من ظلم القادة الدينيين في المعبد اليهودي وقتها، ويذكر أن الانعطافة الكبرى للمسيرة الكهنوتية كانت بسبب نهج يوحنا الجديد حيث ترك المعبد وذهب يتعبد في الصحراء أو (برية اليهودية) كما يذكر الإنجيل:

---

(١) البرية: هي الصحراء والمقصود هنا ببرية اليهودية هي الصحراء الواقعة في فلسطين.

(٢) التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص١٢١.

(٣) المصدر السابق ص ١٤.

(وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يبشر في برية اليهودية وكان يوحنا يلبس ثوباً من وبر الجمال وعلى وسطه حزاماً من جلد ويقتات على الجراد والعسل البري)[١].

والواضح أن تصرف يوحنا ذاك كان ملفتاً للأنظار بشكلٍ كبير للشعب والكهنة والسلطة على حدٍّ سواء، فهو أول من أظهر الناموس أو الشريعة كما يجب أن تكون عليها من خلال مظاهر الزهد تلك التي لم تكن مألوفة للجميع حتى أن السيد المسيح عليه السلام وقف عند تلك الانعطافة مادحاً للنبي يحيى عليه السلام في نبذ الترف ونعومة العيش للكاهن اليهودي التي كانت متفشية في مجتمع المعبد والهيكل اليهودي حيث خاطب الجمهور قائلاً: (ماذا خرجتم إلى البرية تنظرون؟ أقصبة تهزها ريح؟ بل ماذا خرجتم تنظرون؟! رجلاً يلبس الثياب الناعمة؟ والذين يلبسون الثياب الناعمة هم في قصور الملوك..)[٢].

لنتجول الآن بين أروقة المصادر الإسلامية والتي تمر على موضوع زهد يحيى بن زكريا عليه السلام بشيء من التفصيل فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً): **(كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السلام أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر، وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلى سواري المسجد، فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال: يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان، فقالت له أمه: حتى يأتي نبي الله وأمره في ذلك، فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته**

---

(١) مرقس ١: ٥ ـ ٦.

(٢) لوقا ٧: ٢٤ ـ ٢٥.

بمقالة يحيى، فقال له زكريا: يابني ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبي صغير؟ فقال له: يا أبه أما رأيت من هو أصغر سنًّا مني قد ذاق الموت؟ قال: بلى، ثم قال لأمه: انسجي له مدرعة من شعر، وبرنساً من صوف، ففعلت فتدرع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله ﷻ مع الأحبار حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى، فأوحى الله ﷻ إليه: يا يحيى أتبكي مما قد نحل من جسمك؟ وعزتي وجلالي لو اطلعت إلى النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه، وبدا للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا عليه السلام واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه، فقال: ما شعرت بذلك، فقال زكريا عليه السلام: يا بني ما يدعوك إلى هذا؟ إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر بك عيني، قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه، قال: ومتى ذلك يابني؟ قال: ألست القائل: إن بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله؟ قال: بلى، فجد واجتهد وشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته أمه، فقالت: أتأذن لي يابني أن أتخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك وتنشفان دموعك؟ فقال لها: شأنك، فاتخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشفان دموعه حتى ابتلتا من دموع عينيه فحسر عن ذراعيه، ثم أخذهما فعصرهما فتحدر الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريا عليه السلام إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إن هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى يحيى عليه السلام لم يذكر جنةً ولا ناراً، فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة فجلس في غمار الناس والتفت زكريا عليه السلام يميناً وشمالاً فلم ير يحيى فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرائيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أن في

جهنم جبلاً يقال له السكران، في أصل ذلك الجبل وادٍ يقال له الغضبان لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جب قامته مائة عام، في ذلك الجب توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: واغفلتاه من السكران، ثم أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على أم يحيى فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فإني قد تخوفت أن لا نراه إلا وقد ذاق الموت، فقامت فخرجت في طلبه حتى مرت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها: يا أم يحيى أين تريدين؟ قالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم فقالت له: يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا؟ فقال لها: لعلك تطلبين يحيى بن زكريا؟ قالت: نعم ذاك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، قال: إني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا، ناقعاً قدميه في الماء، رافعاً بصره إلى السماء يقول: «وعزتك مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك» فأقبلت أمه فلما رأته أم يحيى دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل فانطلق معها حتى أتى المنزل، فقالت له أم يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنه ألين؟ ففعل، وطبخ له عدس فأكل واستوفى فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري؟ فاستيقظ فقام فقال: يارب أقلني عثرتي، إلهي فوعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس، وقال لأمه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك، فتقدمت أمه فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به، فقال لها زكريا: يا أم يحيى دعيه فإن ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى عليه السلام فلبس مدرعته ووضع

البرنس على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله ﷺ مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان[١].

نعم هذا هو حال أولياء الله دائماً فالزهد في الدنيا هو مذهبهم وهو شرط شرطه الله عليهم قبل أن يخلق السماوات والأرض وهم بدورهم قد قبلوا هذا العهد مع الله وعلم منهم الوفاء: **(بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء فقبلتهم وقربتهم)**.

من يقرأ تلك السطور عن حياة يحيى بن زكريا عليه السلام ولا تدمع عيناه؟!.. ومن منا يرقب حال تلك المرأة العظيمة (أليصابات) زوج زكريا ولا ينفطر قلبه على حالها في احتمال كل ما تراه من سلوك ولدها الوحيد؟.. الذي وهبه الله تعالى لها على كبر، بعد يأس وقنوط دام سنوات إذ كانت ترقبه أن يكبر أمام عينيها وتدخره ذخراً لأيام عمرها الباقية لتراه يلعب ويرتع مثل الصبيان ويأخذ من حظ الصبا نصيبه وإذا به يلتحف الصوف ويتقمص الشعر والوبر ويتعبد في بيت المقدس مع الأحبار والكهنة ..إنها حقاً موعظة جليلة وعبرة كبيرة تجسدها سيرة واحد من أنبياء الله وحججه الذين اختارهم الخالق ليحملوا معاني وقيم السماء لأهل الأرض الساكنين عليها.

زهد الشهيد الصدر (قدس سره)

أما بالنسبة للسيد الصدر (قدس سره) فقد اشتهر عنه الزهد الذي كان يعيش في كنفه، فلقد عرف القريب والبعيد والصديق والعدو أن الزهد كان ديدنه في مجمل مظاهر حياته، في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه،

---

(١) شجرة طوبى ج١، ص ٢٠٠.

أما بالنسبة لماكله ومشربه فقد كان يرضى باليسير منهما بالرغم من العلل التي في جسده، وأما بالنسبة لملبسه فقد شهد من رآه أن ثيابه كانت بسيطة رثة قديمة، والحقيقة أن مظاهر زهده (قدس سره) في اللباس تذكر الرائي بزهد أولياء الله الصالحين وليس ذلك إلا معلم واضح يدل على الإيمان والإخلاص، كيف يرضى مثله ممن تصدى ووضع نفسه موضع الأسوة للمؤمنين والناس عامة أن يعيش بغير زهد الصالحين؟ هل يختار الترف والانجرار وراء ملذات زائلة!؟..وهو يحث الناس على الزهادة؟ فما الذي سيميزه إذن عن أولئك الذين اختاروا أن يرفلوا بالنعمة من أموال المسلمين بحجة الحقوق الشرعية الواجبة بينما يقبع عامة الناس بالفقر المدقع في أشدّ السنون قحطاً مرت على العراق!.

لقد كان السيد الصدر من أزهد الناس فلم يكن من المهتمين بزخارف الدنيا على الإطلاق إلا بمقدار ما يخدم الإسلام، وكانت ثيابه بسيطة للغاية فعباءته كانت مهترئة، مداسه قديم يعلوه التراب أغلب الأوقات، وقميصه العربي ترى بدنه من خلاله لعتقه، وعمامته تميل إلى الاحمرار لشدة قدمها، وقد قضى أكثر من عشر سنين مع أفراد أسرته لا يجدون ما يسدّ رمقهم، وقد روى أحد أفراد عائلته أنه كان يستيقظ قبل الفجر لأداء صلاة الليل ثم صلاة الفجر، وبعد ذلك يعد فطوره بنفسه، وهذا الفطور عبارة عن كسرة خبز يابسٍ فإذا كانت لينة فإنه يقربها من النار (لتيبس) وهذا كان خلال مرجعيته يوم كانت الأموال تجبى إليه بالملايين.

وينقل لنا سماحة السيد مقتدى الصدر بعض تلك الجوانب المشرقة من سيرة أبيه قائلاً: (فكم من سنين طوال وهو يتغذى على الخبز وبعض السوائل وقد حرم نفسه الملذات الدنيوية وكم من أشهر طوال حرم نفسه حتى الماء إرضاءً لربه، وكم من تهجد طويل ومن عبادة له طويلة حتى أفنى نفسه في الله جل جلاله، فضلاً عن قلة النوم طيلة فترات عمره

الشريف ولا يأكل إلا نوعاً واحداً من الطعام إلا في بعض العزائم والمناسبات، أما الملبس فقد اكتفى منه بالقليل والبسيط..).

لقد كان السيد الشهيد (قدس سره) لا يكتفي بأن يتخذ هو وحده الزهد مسلكاً بل يطلب من أفراد أسرته وأهله أن يكونوا على هذا النهج والأسلوب في المعيشة، وهذا ما ينقله نجله الشهيد مصطفى الصدر رحمه الله في إحدى كتاباته عن والده حيث يذكر في معرض كلامه: (.... كان ينهانا عن حب الدنيا ويحذرنا من التعلق بحبال مودتها، ويحرضنا على الزهادة منها كما زهدها، يذكرنا بالموت ومخافة الفوت ويأمرنا بالصبر على البلاء وهو أصبر الناس على بلواه وما أكبر ما ابتلي وهو الصابر المحتسب القانع..)[١]... هذا ما ظهر وما خفي كان أعظم.

وبعد كل هذا يتبين لنا بما لا يقبل الشك أن كلًّا من يحيى عليه السلام والسيد الشهيد كانا من رجال الدين المُعرضين عن زخارف الدنيا وهذا ما لم يكن مألوفاً بين أوساط القادة الدينيين في كلا العصرين فكان ذلك كله مصداق حقيقي للنهج المغاير الذي اختاره بعيداً عن مسيرة المرجعية التقليدية على مر الأزمان، ولعل الكثير ممن يدعي الزهد وتركه للدنيا هو في الحقيقة من أكثر الناس ترفاً وحبًّا للدنيا وزينتها وزخرفها وهم من رجال الدين في كِلا العصرين.

ثانياً: الدعوة إلى التوبة ومخالفة رجال الدين

دعوة يحيى عليه السلام الناس للتوبة ومخالفته للكهنة

لقد كان يحيى منذ انطلاق دعوته شيء مغاير للعادة التي عرفت

---

(١) ومضات عرفانية.. ص ٢٢.

وقتها عن رجال الدين ومعلمي الشريعة، فمن سمع من قبل ان كاهناً يترك (المعبد) ليلتحق بالصحراء!؟، هذه كانت أول لبنة في نعش الكهنة التقليديين وفضيحتهم، وفوق هذا كان مظهره مدعاة للاستغراب حين كان أمثاله يلبسون أفخر الملابس كان هو يرتدي ذلك الزي الغريب كما أسلفنا، وكان هذا يميزه عن باقي رجال الدين والقادة الدينيين الذين كانت ثيابهم الفضفاضة الطويلة تعكس كبرياءهم العظيمة في مراكزهم، بينما كان مظهر يوحنا يعكس رسالته الملفتة للنظر[١].

ان كل تلك الاستثناءات كانت سبباً وجيهاً لكي يلاقي المعارضة الشديدة والاستهجان الكبير بل والمحاربة والوشاية لدى الحاكم من قبل زعماء المعبد اليهودي.

ومن المناسب في هذه المناقشة أن نلقي الضوء على تلك المؤسسة الدينية أيام يوحنا، حيث يذكر التأريخ أن قادة المعبد اليهودي كانوا ينقسمون إلى فرق عديدة أهمها (الفريسيون والصدوقيون) أما الفريسيين فكانوا ينعزلون عن كل ما ليس يهودياً ويتبعون بالتدقيق شرائع العهد القديم والتقاليد الشفوية التي تسلموها على مدى قرون طويلة، اما الصدوقييون فكانوا يؤمنون بأسفار موسى الخمسة فقط (التكوين إلى التثنية) باعتبار انها هي وحدها كلمة الله وكانوا ينحدرون في الغالب من عائلات كهنوتية عريقة بينما كان الفريسيون ينحدرون من كل الطبقات وكان أحدهما يكره الآخر بشدة[٢].

وكان الشعب بشكل عام يومئذ يقدسهم أيما تقديس باعتبارهم الورثة الحقيقيون لشريعة موسى وهارون عليهما السلام وكانت وصاياهم وأقوالهم

(١) التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص ١٢٦.

(٢) التفسير التطبيقي ص ١٤.

لها الثقل الكبير في الشارع اليهودي، وحتى الذين جاؤوا إلى نبي الله يحيى عليه السلام ليتعمد على يديه كان من بينهم ناس مبعوثين من قبل الفريسيين والصدوقيين ليس إلا ليطعنوا بشكل صريح بنبوته وسلطة المعمودية التي أنشأها، وهذا مفهوم من خلال النص الإنجيلي الذي يقول: (وكان هؤلاء مرسلين من قبل الفريسيين فعادوا ليسألونه: ان لم تكن انت المسيح ولا النبي فلماذا تعمد إذن؟!)(١).

لم يكن ذاك مجرد استفهام عرضي أو سؤال موجه لتقصي الحقيقة بل كان واقعاً نوع من التشكيك الواضح بنبوته والاستهزاء بحركة التعميد نفسها، بالنسبة إلى يوحنا نفسه فقد انتقد الفريسيين لناموسيتهم ورياءهم إذ كانوا يتمسكون بحرفية الناموس لكنهم يتجاهلون مضمونه الحقيقي، وانتقد الصدوقيين لأنهم كانوا يستخدمون الدين لتأييد موقفهم السياسي(٢)، وحتى مع مجيء بعض من الفريسيين والصديقيين بأنفسهم ليحظوا بالمعمودية لم تكن الأجواء أقل توتراً بل وصل الأمر أن قام يوحنا بتوبيخهم بأشدّ لهجة وكلمات قالها: **(يا أولاد الأفاعي من علمكم أن تهربوا من غضب الله الآتي؟ اثمروا ثمراً يبرهن على توبتكم ولا تقولوا إن أبانا هو إبراهيم، أقول لكم إن الله قادر أن يجعل من هذه الحجارة أبناءاً لإبراهيم، ها هي الفأس على أصول الشجر فكل شجرة لا تعطي ثمراً جيداً تقطع وترمى بالنار..)**(٣).

إن الهدف الرئيسي لإنشاء المعمودية لم يكن إلا بسبب انحراف عامة الشعب اليهودي كنتيجة طبيعية لانحراف الزعامة الدينية التي كانت تقود الناموس والشريعة أيام يحيى عليه السلام، فلم يكن سوى (المعمودية) حلًّا

---

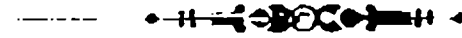
(١) يوحنا ١: ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص١٤.

(٣) متّى ٣ ـ ٧.

أمثلاً لجذب الانتباه ولأحداث خلخلة في نسق الكبرياء الديني للكهنة وعلامة منظورة على أن الشخص المعتمد قرر تغيير حياته متخلياً عن حياة الخطيئة والأنانية والرجوع إلى الله، وقد أخذ يوحنا عادة معروفة وأضفى إليها معنى جديداً، فقد كان اليهود كثيراً ما يعمدون الأمميين المهتدين إلى اليهودية، أما تعميد اليهودي كعلامة على التوبة فكان ابتعاداً جذرياً عن العادة اليهودية[1].

وبالرغم من الحرب القائمة على قدم وساق ضد المعمودية كانت فئات الشعب تتقاطر بمختلف الشرائح والمستويات، فبالإضافة إلى عامة الناس المعنيين بالمعمودية لم يكن جباة الضرائب ولا الأغنياء ولا حتى أفراد الجيش مستثنين من واجب التوبة والرجوع للصراط السوي قبل مجيء المسيح عليه السلام، فالتكافل الاجتماعي كان حاضراً في وصايا يحيى عليه السلام للجموع الحاضرة :(**وسأله الجموع: ماذا نعمل؟، أجابهم: (من كان له ثوبان فليعط من لا ثوب له، ومن عنده طعام فليشارك فيه الآخرين)**[2].



(١) التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص ١٢١.

(٢) لوقا: (:١٥ ـ ١٠:٣).

الشهيد الصدر
دعوة إلى التوبة ونهج مغاير لرجال الدين

لقد كانت حركة السيد الشهيد الصدر (قدس سره) منذ فجر انطلاقها تتخذ مساراً جديداً ينأى بنفسه عن النهج التقليدي الذي عرف عن الزعماء الدينيين حتى أواخر القرن الماضي، حيث كان الفقهاء والمراجع يقبعون في بروجهم العالية - كما وصفهم - وسط العنعنات والتكبر الضخم وتفصل بينهم وبين عامة الشعب فوارق وفواصل عديدة تجعل أمر الوصول إلى شخص المرجع العالم من الأمور الصعبة، ويحتاج من يرغب بالتواصل الحقيقي معه إلى تدخل ووساطة الحاشية المعروفة حتى اليوم بكونها السور الكهربائي المانع من التقرب للمرجع. لذلك كانت أولى المخالفات الصريحة من قبل السيد الشهيد هي استقباله للناس والعوام بدون قيد أو شرط، فقد كان في بداية مرجعيته يجلس مرتين في اليوم، المرة الأولى حوالى الساعة العاشرة والنصف صباحاً إلى وقت صلاة الظهر، والأخرى بعد صلاة المغرب.

وكانت طريقة مقابلته للجماهير هي أن يجلسوا حوله ويسأله الواحد تلو الآخر، وفي مجال المقارنة مع باقي المكاتب المشهورة فإن الداخل يجب عليه أن يقبل الأيادي الممدودة بشكل آلي بحيث إن العالم لا يلتفت إلى القادم وكان إعطاء يده يكفي لرد التحية[1].

---

(١) الجمعة ١٩.

لذلك كان مسألة تقبيل اليد عنده (قدس سره) مسألة مرفوضة رفضاً قاطعاً ولم يكن يتهاون في زجر من يحاول ذلك ولطالما انتقد رجال الدين الذين يسمحون للناس بتقبيل أياديهم وعده عملاً محرماً وفيه إساءة للأدب الإسلامي الذي جاء به الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً)، حيث عرج على هذا الموضوع في إحدى الخطب قائلاً: (وحسب فهمي فإن السر في ذلك هو أن تقبيل اليد بالنسبة إلى من تقبل يده يكون بالنسبة إليه نحواً من التكبر والأنانية والشعور بالأهمية بالنفس الأمارة بالسوء وشكل من أشكال الاستعلاء وعلى غير الحق وفي يوم القيامة يحشر الفرد ويسأل لماذا قدمت يدك للتقبيل؟ فماذا يجيب؟).

وذكر أيضاً: (وليس في الأخبار استحباب تقبيل اليد ولا خبر واحد فضلاً عن الكثير، واتحدى أي شخص يأتي بما يدل على الاستحباب... لم يكن الفرد معصوماً فلا يصلح له تقبيل اليد، وإمارة ذلك ـ سبحانه الله بيني وبينك علامة ليس بيني وإنما بينك وبين الله علامة ـ وهو أنه أنظره هل يغضب إذا لم تقبل يده أو أنه يطلب بلسان الحال أن تقبل يده؟ فماذا يكون حاله أمام السميع العليم القاهر القادر جلاله؟)[1].

لقد كان شعور السيد الشهيد أنه يجب أن يلبي المسؤولية الملقاة على عواتق رجال الدين في كل زمان ومكان، وذلك من منطلق الحديث القائل: (إذا ظهر في العالم البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[2] ومن يراجع الوضع المأساوي الذي كان عليه الشعب العراقي آنذاك يستطيع أن يتخيل لماذا قام السيد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٧، ص٣٩٩.

الشهيد بكل تلك الثورة الدينية وتحمل لأجلها الكثير ما يعجز عن وصفه القلم، وقد آثار السيد الشهيد الانقلاب الفكري في داخل جسد المجتمع المتدين ليس في العراق فحسب بل حتى بلدان العالم الإسلامي. ولم تكن تلك الهمة والعزيمة لدى شهيدنا منشأها حب الظهور أو مبدأ (خالف تعرف) فهو أبعد ما يكون عن تلكم الصفات الدنيوية الرخيصة لا بل إن كل ما في الأمر هو أن إعراض الحوزة في السابق عن المجتمع وإهمال مشاكله وشؤونه أدى إلى تفشي الأمراض المعنوية والأعراض الأخلاقية وزيادة الغفلة والانتقادات العجيبة الغريبة بين الناس المتدينين ثقافياً وفكرياً، وفوق كل هذا وذاك فإن الشهيد وجد أن عدداً من طوائف المجتمع وطبقاته يتصرفون فعلاً في حياتهم الدنيوية كأنهم لا يشعرون بأي مسؤولية دينية ولا بأي ثواب وعقاب وكأنهم في غنى عن ذلك كله، أو كأنهم في عمى وصمم عنه ويتعمدون التماهل والعصيان والتجاهل، كل تلك المثالب في جسد المجتمع المسلم كانت سبباً وجيهاً لكي يتصدى لإصلاح المجتمع وينزل إلى الساحة كرجل دين غير تقليدي يحاول تغيير الواقع بكلّ ما أوتي من إمكانات ومواهب.

ولعل أهم ملامح تلك الثورة هو منبر الجمعة، ذلك المنبر الذي كان الوسيلة الإعلامية التي أثارت حفيضة كثير من المخالفين لنهجه وحركته وفي الوقت ذاته فقد كان لها ابلغ الأثر في تغيير نفوس فئات مهمة من المجتمع، ومنه انطلق إلى تهذيب فئات عديدة كانت ترتع لسنون طوال في البعد عن الدين والانحراف، فكما فعل يوحنا المعمدان عمد إلى فئات عديدة من المجتمع ودعاها للتوبة، وكانت دعوته للتوبة قد امتدت إلى كلِّ من:

١ ـ سدنة المراقد المقدسة:

كان المشهور عن سدنة المراقد المقدسة الانحراف عن جادة

الشريعة في الوقت الذي يجب أن يكونوا فيه أقرب الناس للدين باعتبارهم يعيشون في كنف ورحاب مراقد المعصومين ﷺ فقال عنهم: **(أغلبهم لا يصلون ولا يصومون...أتحدى ذلك منذ مئات السنين وليس الآن، أما الآن تحت الصفر بكثير من الناحية الديني وكيف شارب الخمر يصلي أو يصوم أو يزكي وهم يسرقون أموال الحرم وما يوقفه الزوار، يسرقونه بكثافة شديدة وخاصة السدنة والخدم)**. إلى أن يقول: **(ومن هنا ملكوا البيوت الفارهة والسيارات الثمينة والذهب الكثير وأما الذبائح والغنم وغيرها مما يسحبه الخدم من الزائرين فحدث عنه ولا حرج..)**[١].

بعدها حذر الناس من التعامل معهم قائلاً: **(المهم هو الحذر كلّ الحذر من هذا الوضع الفاسد المنحرف فان إعطاءهم المال باطل وغير مبرأ للذمة وليس عليه ثواب..)**.

٢ ـ السلوكيين:

ولسنا هنا بمحل مناقشة عقائد أولئك القوم والتي أصبحت معروفة لدى الإنسان المثقف الديني من يكونوا وما الذي يعتقده هؤلاء، لكن ما يعنينا ان السيد الشهيد دعاهم للتوبة في نفس الخطبة التي تناولت سدنة المراقد المقدسة وقال: **(أنا أخاطب المجتمع المؤمن ذوي العقول الصافية والنفوس البريئة أن يقاطعوا هؤلاء ويبتعدوا عنهم بعد السليم من الأجرب وإن لم يتب هؤلاء ولن يفعلوا لأنهم غير مستحقين للتوبة...)**[٢]، وفي الجمعة التالية إعاد التذكير وإعاد دعوته للتوبة أولئك المنحرفين عن الدين عسى ولعل أن يرجع أحدهم إلى صوابه وعقله ودينه: **(فأنا من هنا أدعو لا تكون التوبة سهلة والتوبة ليس معناها**

---

(١) الجمعة ١٦.

(٢) الجمعة ١٦.

العلاقة مع السيد محمد الصدر، ...اطيعوا الله فقط أي واحد على وجه الأرض يطيع الله..)[١].

٣ ـ موظفو الدولة:

وجه الدعوة بالتوبة لفئة ثالثة من المجتمع كانت نسبتهم كبيرة في عموم الشعب وكانت التفاتة مهمة منه إلى تلك الشريحة التي عانت الامرين بسبب سياسة النظام المعروفة من تخفيض الرواتب والمخصصات المعيشية لهم لكي تجبرهم على طلب الرشوة والانحراف عن الدين وأكل السحت والحرام حيث قال: **(أوجه كلامي إلى فئة أخرى من المجتمع نتوقع منه الخير ـ نتوقع على أية حال ـ والرجوع إلى الصلاح والفلاح وهم موظفو الدولة والعاملين فيها في أي عمل كانوا أو اختصاص أو رتبة أو أهمية من وزراء وعسكريين ومدرسيين ومعلمين ومصلحين وأطباء ومن مختلف مذاهب المسلمين...وعلى أي حال فإن باب التوبة مفتوح ويد الرحمة الإلهية ممدودة لكي تتلقى أي واحد من البشر بالترحاب بما فيهم موظفو الدولة من كبار وصغار..)**[٢].

٤ ـ المطربون والممثلون وبائعي الخمور والسافرات:

نماذج موجودة في المجتمع أبعد ما تكون عن الدين خصوصاً في تلك الحقبة من تأريخ العراق وهم المطربون والفنانون كما يطلق عليهم، إضافةً إلى بائعو المشروبات المحرمة في بلد يعتبر مهد الرسالات السماوية وملتجأ التشيع في العالم الإسلامي، كثيراً ما تجد ظواهر متفشية بشكل واسع في الأوساط المدعية للثقافة خصوصاً كشرب الخمر بالنسبة للرجال والسفور والتهتك بالنسبة إلى النساء، توجه إليهم

---

(١) الجمعة ١٧.

(٢) الجمعة ١٧.

بالخطاب قائلاً: (**وكلها طبقات واضحة لدينا نعرفها جميعاً، ومن أوضحها أولئك الملتزمون بالحرام وعليه حياتهم وأرزاقهم والعياذ بالله كالمغنين والممثلين وبائعي الخمور والمرابين والسافرات وآخرون كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.. لأنهم لا يقتصرون بالجرم على أنفسهم بل يقومون من حيث يعلمون أو لا يعلمون بتوزيع الغواية والظلال على آلاف الناس وملايين الناس فهو كالشجرة المثمرة الحنظل ينبت فيها نبات كثير وحنظل كثير**).

ثم عاد فخاطبهم بصوت تهتز له الأبدان داعياً لهم بالإنابة: (**إنكم تعلمون أن الله موجود وهو الرقيب والحسيب، وأن باب التوبة مفتوح ما دامت الحياة، وأن الإسلام حق، وأن طاعته واجبة، وأن الموت لاحقكم على كل حال، وأن جهنم ورائكم على كل حال فارحموا أجسادكم من النار فإنكم لا تتحملون عذاب جهنم وتستغيثون حيث لا مغيث، وأنتم الآن في فرصة للتوبة والنزوع عن الحوبة والخلاص من غضب الله والاسراع إلى رحمة الله، والله سبحانه لا يريد لنا جميعاً إلا الخير والصلاح تأسفوا على نفوسكم التالفة وآرائكم السقيمة وأفعالكم المريضة..**)[1].

٥ ـ العشائر:

والتي كانت ولا زالت متمسكة بتقاليدها وقوانينها التي لا يحكمها الدين بل العرف العشائري والتقاليد حتى وإن تعارضت مع الشريعة، خاطبهم قائلاً: (**نوجه كلامنا إلى العشائر عامة وإلى رؤساء العشائر ومشايخها خاصة من حيث إن الكل يعلم أن النظام الذي يمشون عليه في**

(١) الجمعة ٣١.

عشائرهم ويطبقونه هناك بينهم أغلبه بل كله نظام باطل وغير شرعي وغير مرضي لله ﷻ..) (يجب على العشائر أن يشحذوا الهمة للتوبة ولطاعة الله سبحانه وابتغاء مرضاته لكي يكونوا صالحين في الدنيا والآخرة جزاهم الله خير جزاء المحسنين)[١].

٦ ـ الأطباء والممرضين:

استطاع رصد الكثير من الظواهر المنحرفة داخل هذا الصنف من المجتمع والذي من المفترض أن يعدّ في الطليعة كونه صنف ذو متانة علمية وثقافية ويمتلك الوعي الكافي لمعرفة الخطأ من الصواب، فانتقد بكلامه أبرز مثالب هذا القطاع الذي يعدّ أرقى أصناف المجتمع المدني، فتحدث عن مسألة الاختلاط المحرم بين الأطباء والمرضى أو الكادر الطبي فيما بينهم نساءاً ورجالاً حيث قال لهم شهيدنا: **(نشير في هذه النقطة إلى الاختلاط في المجتمع الطبي بين الجنسين الذي يكاد يكون من الضرورات والبديهيات عندهم إلى حدٍّ قد يكون النهي عن المنكر بالنسب إليه مهزلة.. فيعيشون جواً دنيوياً كان الحديث الديني لا يشملهم إطلاقاً...)**[٢].

إضافةً إلى ظاهرة خطيرة كانت تظهر من خلال استيلاء العاملين في المجال الطبي على الأدوية في المستشفيات وبيعها بأغلى الأثمان مما يلحق ضرراً أكيداً على المجتمع، ومن منا لم يسمع عن حالات الفحش الطبي ـ كما وصفها شهيدنا ـ والتي تتمثل بالتشخيص الخاطئ وإجراء عمليات للمرضى لا ضرورة إليها إلا في سبيل كسب المال الذي سيكون حراماً من هذه الناحية[٣].

---

(١) الجمعة ٢١.

(٢) الجمعة ٣١.

(٣) المصدر السابق.

كلها كانت نقاط سلبية في جسد المجتمع العراقي آنذاك يضع السيد الشهيد أصبعه على الجرح بواسطة مواعظه على المنبر.

٧ ـ الغجر:

في مشهد غير متوقع خاطب السيد الشهيد تلك الفئة المنبوذة من كل مجتمعات وشعوب العالم ألا وهي (الغجر) حين قال لهم: (... **فيا أيها الغجريون لستم أول من خاطبه الإسلام ولا أول من خاطبه القرآن ولا أول من خاطبته الحوزة الشريفة ولا أول من خاطبه السيد محمد الصدر.... فانتبهوا إلى الحق وافتحوا عيونكم للنور بهدى الله وأهل البيت** عليهم السلام**..)**[1].

لقد كانت صلاة الجمعة بالنسبة إلى السيد الشهيد كمعمودية التوبة بالنسبة إلى نبي الله يحيى عليه السلام، وغدا منبره كنهر الأردن الذي كان فيه يحيى يعمد الخاطئين، وحتى أن مشهد مجيء أفراد الجيش الروماني للتوبة على يد يوحنا ـ كما أشرنا سابقاً ـ يذكرنا بمثيله تماماً لدى معمودية السيد الشهيد حين جاء إليه ضابط كبير في الجيش العراقي وذلك في الصحن العلوي الشريف وقال له ما مضمونه: ما حكم عملي مع الجيش العراقي؟، فقال له (قدس سره) ما معناه: أنت في جهنم، فقال سيدي: ما افعل؟، فأجابه (قدس سره): (خلص نفسك).

ولم يستثني الشهيد حتى الطوائف الأخرى كالمسيحيين واليهود وحاججهم بعقائد مثبتة لديهم من قبيل أنهم يعلمون أن موسى بن عمران عليه السلام لم يكن يشرب الخمر ولا المسيح عليه السلام أو أي من حوارييه ولم تكن مريم العذراء عليها السلام سافرة ولا أي من نساء أنبياءهم ورجال دينهم، وعلى الرغم من كل ما تحصل عليه المجتمع من بصمة دينية

---

(١) الجمعة ٢٢.

واضحة أضفاها منبر السيد الشهيد كما وصفها: (**إنه من النقاط المهمة والجليلة التي حصلت بصلاة الجمعة المواجهة المباشرة بين الحوزة والمجتمع وبين المرجعية والمجتمع بينما كان الانفصال التام أو الغالب قبل ذلك موجوداً مع شديد الأسف ولا زال هذا الانفصال موجوداً بالنسبة إلى المراجع الآخرين من حيث اتصالهم بالمجتمع**)[١].

ولم يكن السيد الشهيد ليلاقى بأفضل مما لاقاها يحيى عليه السلام من تكذيب وتشهير وعداء خصوصاً من قبل الزعماء الدينيين الذين وصفوا أن إقامته للجمعة إنما هي (فتنة) محاولين كسر عضد الحركة التي أنشأها وتشتيت ذهن المتلقي عن مواعظه وكلماته، فلم يجد بدّ من الرد عليهم بغلظة قائلاً: (.. **ولعلها لا زالت تقول إن إقامة صلاة الجمعة فتنة، وإنما هم الذين فتحوها بإصرارهم على عدم الحضور... ولو حضروا لكان الانتصار أكثر واتحاد الحوزة والمذهب أكثر، حتى أنني قلت إنه بغض النظر عن السلاح لو حضروا فإننا نستطيع عندئذ من الناحية المعنوية أن نواجه إسرائيل نفسها ونقول لها كلا ثم كلا ارجعي من حيث أتيت..**)[٢].

لكن قلب السيد الشهيد لم يمتلأ غيضاً كما فعل الآخرون بل ظل بابه مفتوحاً حتى لأعدائه ومناوئيه الذين انتقدوه بل وحاربوه: (.. **ولا حاجة بين استمرار التباعد والتباغض وتبادل التهم والإشكالات بل تعالوا نتفق ونتصاحب ونتصافى ونتحابب في الله وفي ولاية أمير المؤمنين وفي المذهب وفي الدين، وبابي مفتوحاً وقلبي مفتوحاً لكم جميعاً مهما كنتم الآن وأينما كنتم ولا أريد منكم شيئاً إلا الأخوة في الله وفي رسوله وفي ولاية أمير المؤمنين وتبقى التفاصيل الأخرى خدمة للعدو المشترك**

(١) الجمعة ٢٧.

(٢) الجمعة ٢٧.

إسرائيل والاستعمار ولكلّ من هو بعيد عن الله وعن رسوله فما دمنا تجمعنا الروابط الحقيقية المقدسة فلماذا لانتحد ولا نتآخى ولا نتقارب؟)[١].

هذا هو السيد الشهيد وذاك هو قلبه الودود الرحيم ولكن لا حياة لمن تنادي، بقي أن نقول إن معمودية الشهيد الصدر كانت الأولى من نوعها في التأريخ المعاصر والحقيقة أن أي إنسان يشعر بالخشوع والمهابة عند سماع كلماته وهو يعظ الناس ويدرك حقيقة لا غنى عنها، وهي أن ذلك المشهد الرسالي لن يتكرر حتى ظهور الصالح الموعود.



(١) الجمعة ٢٧.

الفصل الثالث

١ ـ يحيى ممهداً للمسيح عليه السلام

٢ ـ الصدر ممهداً للإمام المهدي عليه السلام





يحيى ممهداً للمسيح عليه السلام

قلنا إن نبي الله يحيى كان أول من صدق بعيسى كما جاء في القرآن ونقلت الأخبار، حيث وصفت الآية الكريمة أن يحيى مصدقاً بكلمة من الله إذ قال تعالى في خبر زكريا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وترمز الكلمة هنا إلى عيسى المسيح عليه السلام حيث قال تعالى في موضع آخر: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[2].

وبهذا يتضح أن أبرز ما اتصف به النبي يحيى عليه السلام هو تصديقه بالمسيح ودعوته حتى قبل أن يولد في هذه الدنيا، والتقارب النبوءاتي والآياتي يتجلى في هذا المعنى حين نقرأ النص الإنجيلي الذي يصف المسيح عليه السلام بالوصف ذاته أي (الكلمة) ويصف يحيى بالوصف القرآني أنه مصدق أو (شاهد) للكلمة تلك أو المسيح، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ما أشرنا إليه في مقدمة كتابنا أن الأديان والكتب السماوية

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

لديها الكثير من نقاط الاشتراك والتقارب، كيف لا وهي من ينبوع واحد ومعين لا ينضب ألا وهو وحي السماء على لسان أنبياءه ورسله، وليس علينا إلاّ أن نمر على النص التالي لنتيقن من الحقيقة هذه حيث ورد في الإنجيل: (**فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا هذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلى الْعَالَمِ كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ إِلى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ**)[1].

من خلال التصفح في فصول الإنجيل نجد أن حركة نبي الله يحيى عليه السلام كانت لها الأسبقية بالنسبة إلى حركة عيسى المسيح عليه السلام ولعل سائلاً يسأل عن سر أو فلسفة تلك الأسبقية في الظهور لنبي الله يحيى عليه السلام داخل المجتمع اليهودي في ظل غياب (نسبي) لأي تحرك واضح للمسيح عليه السلام.

والحق أن هذا الاستفهام كان في ذهن الكهنة اليهود خصوصاً مع وصول مرحلة دعوة يحيى إلى نقطة حرجة تتجلى في إقبال الناس والعوام على معموديته، حيث يذكر: (**وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. فَسَأَلُوهُ: «إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: لَسْتُ أَنَا، فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ**

---

(١) يوحنا ١: ١ ـ ١١.

نَفْسِكَ؟ قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ. وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلَا إِيلِيَّا، وَلَا النَّبِيَّ؟ أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قِائِلاً: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ)(١).

لقد كان يوحنا يرى في نفسه أنه مبعوث للناس من أجل هذه القضية وهي (تهيئة الطريق للقادم بعده) والذي هو أفضل منه كما يقول، وطبعاً هذا ليس منشأه في نفسه من الظن أو ما شابه بل إنه يرى ذلك من خلال نور النبوة الذي عنده، وكذلك لم يكن هذا هو رأيه فحسب بل إن السيد المسيح عليه السلام نفسه شهد ليحيى عليه السلام بما قدمه من شهادة بقوله: **(وَبَيْنَمَا ذَهَبَ هذَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا: «مَاذَا خَرَجْتُمْ إلى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟» 8. لكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَانًا لَابِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ فِي بُيُوتِ الْمُلُوكِ 9. «لكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ» 10. إِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَاكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ)**(٢).

إذاً يتضح لنا من ذلك أن يحيى عليه السلام كان ممهداً لدعوة عيسى عليه السلام بشهادة الرجلين (يحيى والمسيح) وعليه لا نحتاج الكثير من الإثبات، لكن يبقى سؤال آخر يفرض نفسه ملحاً في ظل هذه القضية والسؤال هو: (هل كان الأمر ملزماً في إرسال نبي أو ممهد قبل المسيح؟)..

---

(١) يوحنا ١: ٢٢ ـ ٢٧.

(٢) متّى ١١: ٧ ـ ١١.

والجواب يقيناً يكون بالايجاب، لماذا؟... السبب أن المجتمع اليهودي كان في تلك الفترة من الزمن يعاني من انحراف علماء الشريعة والكهنة وتسلطهم الباطل باسم الدين والشريعة، ولهذا فإن رسالة المسيح عليه السلام التي جاءت لتقوم الاعوجاج الحاصل في تطبيق شريعة موسى عليه السلام لم تكن لتحقق غايتها المنشودة فيما لو بدأت من نقطة الصفر ولكانت عملية شاقة عسيرة أن تتكبدها دعوة عيسى عليه السلام وحدها.

ولو فرضنا أنه بمقتضى الإسناد الإلهي والتأيد السماوي يستطيع المسيح أن يغير الواقع لكن يبقى الوضع الذي كان عليه مجتمع بني إسرائيل يومئذ لم يكن يسمح بذلك الكمّ الهائل من التغييرات والتحولات تجاه التعاطي مع شريعة موسى عليه السلام ولكانت دعوة السيد المسيح عليه السلام أشبه بقنبلة موقوتة مزروعة في جسد الكيان اليهودي وهذا طبعاً ليس هو أسلوب الدعوة الإلهية حين يراد لها أن تأخذ عمقها الصميمي في النفوس، ولأجل ذلك كله فقد كانت دعوة يحيى عليه السلام وأسبقيتها لدعوة المسيح عليه السلام حتمية وضرورية لبدء عملية الإصلاح والتغيير، وهنا لا بد من الوقوف قليلاً عند هذه العبارة الشهيرة على لسان يحيى عليه السلام، فقوله عن نفسه ودعوته **(اعدوا طريق الرب واجعلوا سبله مستقيمة)** وهو يعني أن تعبيد الطريق يستلزم تنظيفه من كل العوارض والأحجار العائقة ومن ثم تعديله ليكون مهيئاً ليمشي عليه أشرف الخلق.

الذي أريد أن أقوله إن العمل الذي قام به يحيى عليه السلام هو عين ذلك العمل ـ أي تعبيد الطريق ـ من خلال ابتداء المواجهة مع الكهنة ورجال الدين وكشف زيفهم أمام الناس وبالنتيجة تقويم مسار المجتمع وإعادة الناس إلى جوهر الشريعة الإلهية، ومن الممكن القول إن العلاقة بين يحيى والمسيح عليهما السلام كانت على شكل مرحلتين رئيسيتين هما:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل إعلان دعوة المسيح عليه السلام وظهوره

للناس كمخلص موعود من خلال النبوءات السابقة، وقد كانت طبيعة العلاقة بينهما علاقة غيبية أي أن يحيى كان يتحدث عن المسيح بصيغة الغائب وهذا واضح جداً من خلال كلماته في نصوص الإنجيل :(**انا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ**)[(١)].

المرحلة الثانية: مرحلة بدء دعوة السيد المسيح ﷺ إلى جانب وجود يحيى ﷺ كصاحب دعوة جنباً إلى جنب، وكلًّا منهما له أتباع وتلاميذ، وهنا أصبحت العلاقة بينهما مباشرة عن طريق الاتصال واللقاء المباشر، وقد كانت هذه المرحلة تتضمن ثلاثة أنواع من اللقاءات المباشرة بين عيسى ويحيى ﷺ:

الأول: مجيء المسيح أثناء حركة التعميد لكي يتعمد على يدي يحيى ﷺ أمام الجمهور وقد شهد هذا اللقاء إعلان رسمي من قبل يحيى بأن عيسى الناصري هو المسيح الموعود حيث ورد في النص: (**وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم 10. هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي 31. وأنا لم أكن أعرفه.لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أُعمد بالماء**)[(٢)].

الثاني: مجيء السيد المسيح ﷺ بصحبة تلامذته إلى اليهودية لأجل التعميد ومصادفة يحيى ﷺ وأتباعه في منطقة قريبة من نهر الأردن

---

(١) متّى ٣: ١١ ـ ١٢.

(٢) يوحنا ١: ٢٩ ـ ٣١.

فحدث أن شهد يحيى عليه السلام أمام أنصاره أن عيسى عليه السلام هو رسول من السماء لذا هو يتكلم بكلام السماء (أي الوحي): - **(وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يعمد 23 وكان يوحنا أيضاً يعمد في عين نون بقرب ساليملانه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون 24. لأنه لم يكن يوحنا قد ألقي بعد في السجن 25. وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير 26. فجاؤوا إلى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذي كان معك في نهر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه 27. أجاب يوحنا وقال لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطي من السماء 28. أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح بل إني مرسل أمامه 29. من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذا فرحي هذا قد كمل 30. ينبغي أن ذلك يزيد وإني أنا أنقص 31. الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع)**[1].

الثالث: إرسال يحيى لتلامذته حين ألقي القبض عليه وأودع السجن من قبل الحاكم إلى عيسى الناصري لكي يسألوه عن هويته الحقيقية : **(أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه 3. وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر 4. فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران 5. العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون 6. وطوبى لمن لا يعثر في..)**[2].

---

(١) يوحنا ٣: ٢٢ ـ ٣١.

(٢) متّى ١١: ٢ ـ ٦.

إذاً يتضح جلياً أن يحيى بن زكريا عليه السلام قد أدّى ما عليه من مهمة ألا وهي التمهيد لظهور المخلص المنتظر لدى اليهود وقد بذل في سبيل ذلك الكثير من التضحيات وقدم أغلى القرابين، فإن الله تعالى لا يوكل مهمة عظيمة كمهمة التمهيد إلا لأولياءه المصطفين الذين لديهم الاستعداد لتحمل أصناف العذاب والصبر، فكان كما وصفه أشعياء بأنه الصوت الصارخ ليس في ذلك الزمان فحسب بل إلى يومنا هذا ليشحذ الهمة ويوقظ العزيمة لدى المؤمنين المنتظرين في كل زمان ومكان من العالم لنصرة المنقذ الموعود لكي يتحقق حلم الأنبياء والرسل في إقامة الحكومة الإلهية.



٢

الشهيد الصدر ممهداً للإمام المهدي عليه السلام

لقد كان السيد الشهيد (قدس سره) يعدّ الأمة لكي تكون على مستوى يمكنها تلقي أطروحة الإمام الغائب عليه السلام، فدعوته فئات المجتمع إلى التوبة التي تحدثنا عنها في الفصل السابق كانت بمثابة المقدمات الضرورية لتنقية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وتخليصهم من شراك المخطط الاستعماري الكبير الرامي إلى تأخير حركة الظهور المقدس، وجعل المجتمع في مستوى متدني من الاستعداد غير لائق لاستقبال إمامهم المعصوم، فالمجتمع الغارق في الملذات الدنيوية وهموم الحياة حتماً لن يكون مهيئاً لنصرة المخلص المنتظر ليس من قبل الشيعة وحدهم بل كل شعوب العالم تنتظر ذلك الرجل الموعود، لذلك كان السيد الشهيد يشعر بأهمية المسؤولية الملقاة على عاتق رجل الدين والذين يفترض به أن يجعل القواعد الشعبية ـ وخصوصاً في العراق ـ على مستوى التهيئة ولو النسبية لتقبل أطروحة الإمام عليه السلام.

ولم يكن ذلك الشعور بالمسؤولية تجاه إمام الزمان حديث العهد مع السيد الشهيد خلال مرحلة التصدي بل كان معايشاً لتفكيره وكيانه منذ الشباب من خلال الموسوعة المهدوية التي استوقفت الكثيرين باعتبارها عمل إسلامي ضخم مقارنةً بالعمر الصغير الذي تم كتابة الموسوعة فيه حيث كان السيد الشهيد في بداية شبابه عند كتابة أول جزء من الموسوعة،

وعلى هذا الأساس لم يجد السيد الشهيد في كيان المجتمع الشيعي ما يسدّ ذلك الفراغ الناشيء من غياب التوعية الدينية وخصوصاً المهدوية منها باعتبارها المفصل المهم في تحقيق الخلافة الإلهية في الأرض.

وبعد كل تلك السنون التي مرت على كتابة وطباعة الموسوعة لم يكن بالامكان التوقف عند هذا الحدّ من البناء الفكري للتعريف بقضية المنتظر الغائب والتي تضم بين طياتها الكثير من الأسرار فرأى السيد الشهيد أن البناء ذلك لن يكتمل إلا بالخطاب الديني المهدوي، ونعني به تسخير منبر الجمعة لأجل تحقيق الهدف والغاية المنشودة، ولظروف عديدة كان يمر بها التشيع عامة وخصوصاً في العراق الحاوي على الأرضية الخصبة لتلقي الخطاب الذي يتحدث عن الإمام الثاني عشر للشيعة.

وللقارئ أن يتخيل الوضع الذين كان يمر به العراق والعالم أجمع آنذاك من ظلم وحروب وكوارث إنسانية وجوع وفقر على أعلى المستويات، وليس من بصيص أمل أو خيط نجاة يتعلق به سوى الإيمان بظهور المنقذ الإلهي الذي ينتشل المجتمع من تلك الزاوية الحرجة والخطيرة، كل ذلك كان عاملاً مساعداً لكي يتفاعل الناس مع البيان المهدوي خصوصاً عند الحديث عن مظلومية الإمام المهدي عليه السلام.

حيث قال في إحدى الخطب : **(فمثلاً إن صاحب الزمان صاحب الأمر المهدي عليه السلام لا يستطيع أن يدافع عن نفسه أو أن يطالب بحقه بالرغم من أنه مظلوم أكثر من كلِّ البشر وحقه أعظم من كلِّ الناس إلاّ أن مطالبته بحقه ينافي غيبته ويجب أن يحافظ على غيبته لا ان يعرف الناس بنفسه إلى زمان موعد ظهوره..... ومن هنا نكون في هذا الجيل نحن المدافعون عنه ونحن المطيعون له ونحن القائمون بأمره سلام الله عليه حتى يقضي بما هو قاض..)**[١].

---

(١) الجمعة ٢٣.

إن التذكير بمظلومية الإمام المهدي عليه السلام لا تكفي لوحدها لاستنهاض الضمائر وشحذ الهمم فلا بدّ من لفت الأنظار إلى خطط الدول الكبرى في العالم والهادفة إلى تعطيل حركة الظهور المقدس وهذا إن لم يكن مألوفاً في مسامع الناس قبل السيد الشهيد (قدس سره) فهو من أعلن صراحةً على الملأ أن دول استكبارية كأمريكا افتعلت حرباً ضروس كحرب الخليج من أجل تحقيق هدف يعده البعض حتى اليوم مبالغة في الطرح والفهم حول قضية الظهور، وانفقت ملايين الدولارات بهدف الحيلولة دون نفوذ الرجل الموعود في تنبؤات الكتب المقدسة ورباعيات نوستر اداموس[1] في الشرق الأوسط والعالم، فغدى كلام السيد الشهيد بمثابة جرس إنذار لمن نسي أو تناسى أو غفل عن هذه الحقائق الخطيرة حيث قال: **(والآن إنكم تعلمون بأنه يوجد من الأخبار ما يكفي من أن أمريكا قد أسست ما يسمى بقوات التدخل السريع تحسباً لظهور المهدي عليه السلام وليس لشيء آخر، كما أنها افتعلت حرب الخليج لأجل أن تملأ الخليج بالبوارج الحربية تحسباً لظهور المهدي عليه السلام كما أنه من الأكيد أن له في البنتاغون ملفاً كاملاً وضخماً عن أخباره التي تستطيع أمريكا جمعها حتى قالوا إنه يفتقر للصورة الشخصية له طبعاً وهي مفقودة ولاشك أيضاً أنها تأخذه بنظر الاعتبار في كمبيوتراتها السياسية كأحد أهم المحتملات للتغيير الاجتماعي الممكن حصوله في الشرق المسلم طبعاً مع التعتيم التام على جميع هذه الأمور).**

ومن الجدير بالذكر أن السيد الشهيد (قدس سره) كان له الدور الأبرز

(١) نوسترادادموس أو ميشيل دي نوسترادامكان صيدلانياً فرنسياً. وقد نشر مجموعات من النبوءات في كتابه Propheties (النبوءات)، الطبعة الأولى التي ظهرت في ١٥٥٥ والتي أصبحت منذ ذلك الحين مشهورة في جميع أنحاء العالم. يحتوي الكتاب تنبؤات بالأحداث التي اعتقد أنها سوف تحدث في زمانه وإلى نهاية العالم.

في التفات المجتمع آنذاك إلى حقيقة مهمة وهي أن واحد من أهم أسباب الغيبة للولي الطاهر عليه السلام هو المجتمع نفسه، فما دام المجتمع قد تكدر بالجرم والموبقات وانسلخ عن الهوية الإسلامية التي رسمها الله لخلقه بسبب الابتعاد عن جوهر الدين القويم، استحق لأجل ذلك وقوع البلاء وغضب الجبار برفع الحجة من بينهم، وقد ذكر هذا المعني في كلامه القائل: **(ويؤيد ذلك ما قاله علمائنا عليهم الرحمة من أن الذي يحجب عن الإمام عليه السلام هو الذنوب، ومن يحجب عن الإمام هو المذنب فمن كان لا ذنب له فالإمام غير محجوب عنه، كما يؤيده ما ورد من قولهم: وما بثلاثين من وحشة يعني أن هناك ثلاثين نفر في كل جيل أو من كل جيل يتصلون به، يستأنس بهم ويرفعون وحشته وهو ساكن بعيداً عن مدن الظالمين ومجتمع الكفار والمنافقين ..)**[1].

ان أسلوب الشهيد الصدر كان فريداً من نوعه من حيث جذب الانتباه إلى قضية الحجة المنتظر عليه السلام وذلك من خلال استغلال مناسبات المعصومين عليهم السلام في هذا الصدد، حيث لا يفتأ يعرج على ذكر صاحب الامر عليه السلام على اعتبار أنه الرجل الذي سيحقق حلم الأنبياء والمعصومين عليهم السلام، ومثال ذلك في ذكرى وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام كان حديثه عن خفاء قبرها على المنبر فقام بالربط بين الموضوع وبين غيبة المعصوم أو ظهوره، فموضوع خفاء قبرها عليها السلام كان ولازال محل جدل الكثير من الكتّاب والباحثين الإسلاميين لحدّ اليوم، أما بالنسبة لأطروحة السيد الشهيد (قدس سره) والذي ذكر فيها أن المجتمع غير المستحق لتحقيق الحكم الإلهي على الأرض سيكون طبعاً غير مستحق لزيارة قبر الزهراء عليها السلام والتشرف بنيل درجات الجنة فكانت تهدف من خلال تلك المناسبة المهمة لدى الشيعة أن يعرف المجتمع المنحرف أن المعصومين

---

(١) الجمعة ٢٩.

الأربعة عشر لديهم وحدة الهدف والمقصد الرامي لتحقيق العدل الإلهي في أرجاء المعمورة يقول: **(وهناك أطروحة محتملة لخفاء قبرها وهو ـ لاحظوا ـ اقتران خفاء قبرها بانسحاب الحكم الالهي الحق عن المجتمع، أو قل بانسحاب حكم المعصومين عليهم السلام عن المجتمع وتمكنهم من التصرف فيه فكان خفاء قبر المعصومة الزهراء عليها السلام عقوبة للمجتمع في منعه لحكم المعصومين سلام الله عليهم أو الإعانة على منعه لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **وسوف يبقى هذا الخفاء مستمراً ما دام حكم الله في الأرض منسحباً ومتقلصاً بما فيها هذا الجيل وأي جيل، وإنما يتحقق الحكم الإلهي الكامل بظهور المهدي عليه السلام وسيطرته على الكرة الأرضية فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً..)**[1].

كان السيد الشهيد يرمي إلى تعريف الناس دوماً بحقائق ربما كانت خافية على الكثيرين حول قضية الحجة المنتظر خصوصاً مع وجود تلك الهالة المصطنعة لرجال الدين، صحيح أن الكثيرين سمعوا أو قرؤوا الروايات التي تتحدث عن موقف الفقهاء السلبي من الإمام في آخر الزمان ولكن لا يزال البعض من المحسوبين على التيار الديني ينشرون الفكر المغاير محاولين تدليس الحقائق المثبتة بالدليل، فكان إحساس السيد الشهيد أن المجتمع مغرر به بسبب أولئك الذين من المفترض بهم أن يكونوا أولى الناس بنصرة الحجة المنتظر لكنهم لن يكونوا أبداً كذلك بحسب أخبار المعصومين عليهم السلام وسنن الامم السابقة.

المشكلة أن هذا الموضوع صعب القبول بالنسبة للعامة، فكيف يمكن أن يكون الفقيه الذي يرتدي زي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) ويقتفي أثره ـ بزعمهم ـ أشد الناس عداءً للمهدي المنتظر عليه السلام؟!..

---

(١) الجمعة ٣٤.

من خلال هذا المفهوم المبسوط بين المجتمع وجد السيد الشهيد من الضروري إزاحة هذه الغمامة الكاذبة من سماء الفكر الصحيح حيث ذكر: **(لا نكون غافلين في الرواية أن المهدي سلام الله عليه حينما يستتب له شيء من الأمر يرسل باللغة الحديثة وفداً أو إرسالاً إلى بلاد الروم فيكتبون شيئاً على أقدامهم ويمشون على الماء ـ حسب الظاهر على ماء البحر الأبيض المتوسط ـ إلى أن يصلوا إلى شواطئ الروم ـ طبعاً هذا باللغة القديمة ـ فيراهم الروم وهم يمشون على الماء فيفتحون لهم الأبواب سلماً ويدخل الناس في دين الله أفواجاً في حين أن السيف مشتغل بالشرق في قتل الفلانيين الذين يعارضونه يخرج له جماعة من رجال الدين وغير رجال الدين يقولون له: (الإسلام بخير والدين بخير ارجع من حيث أتيت) فيضع السيف فيهم يقتلهم عن أخرهم، هذا حال شرقنا العجيب الغريب الذي هو مليء بالمعاصي الباطنية فضلاً عن الظاهرية هناك سذج وأهل صفاء في الجملة، كل شخص قلبه طيب يتبع المعصوم سلام الله عليه يعني معناها نحن أسوأ من الأوروبيين ومن اليهود والنصارى!!)**[١].

ما أعظمها من موعظة وأجلها من عبرة ينطق بها السيد الشهيد، فالفلانيين الذين يعنيهم بالكلام هم الذين يتشدقون منذ قرون من الزمان بكونهم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام لكنهم في الواقع أشد الناس بعداً عنها وعن مضمونها وجوهرها الحق، وكلام الأئمة عليهم السلام وخطاب السيد الشهيد خير دليل، لقد حملت تلك العبارات الرنانة التي أطلقها بها من على منبر الجمعة، الكثير من الناس إلى البحث عن الأسباب الحقيقة وراء عداء رجال الدين لحركة المهدي الموعود عليه السلام ومن يبحث بشكل جدي لن يطول بحثه، فواقع الأمة الذي عاشته ولا زالت تعيشه من

(١) الجمعة ٤.

ويلات وأنات إنما كان بسبب صعود من ليس أهلاً للقيادة الدينية على أكتاف المظلومين، فالذين استغلوا إرث الرسول والأئمة في سبيل المصالح الدنيوية لن يرتجى منهم يوماً ما أن يتخلوا عن العرش الديني الذي جلسوا عليه ظلماً وعدواناً، فعلاً كما قال السيد الشهيد، نحن أسوأ من اليهود والنصارى لماذا؟...لأننا نعلم أن هؤلاء هم أعداء المهدي عليه السلام كما ذكرت أحاديث الرسول وروايات المعصومين عليهم السلام لكننا لا زلنا نتمسك بأذيالهم وتراقيهم ظناً منا أنهم سفن النجاة من دون آل محمد صلوات ربي وسلامه عليهم. وسيأتي اليوم الذي نشهد بأم أعيننا من سيرفع السيف بوجه الإمام المنتظر بعد أن كان من المؤمل أن يرفعه إلى جنبه ضد الأعداء.

نستطيع القول الآن إن السيد الشهيد (قدس سره) من بين كل من عاصره قد وضع قضية الإمام الحجة عليه السلام نصب عينيه وتحمل كامل المسؤولية على كتفيه في سبيل رفع الظلامة عن الإمام المظلوم وتعريف الناس حجم تلك الظلامة، فكان كما فعل نبي الله يحيى عليه السلام مبشراً بالمخلص وإنك أينما ذهبت اليوم في أرجاع المعمورة ستجد من محبي إمام الزمان الحقيقيين من يحتفظ في قلبه بمكانة خاصة لشخص السيد الشهيد (قدس سره) لأن أي إنسان منصف عاقل لا ينكر أن ما قام به في فترة دعوته ومرجعيته سيبقى علماً نيراً لكل من يأمل أن يبقى في الحياة حتى ظهور القائم بالعدل.

المواجهة مع السلطة
والتضحية بالذات

مواجهة يحيى عليه السلام

قبل الشروع في هذا الموضوع يجدر بنا أن نلقي الضوء على الوضع السياسي الذي كانت عليه فلسطين حيث كان يعيش يحيى والمسيح عليهما السلام، يذكر التأريخ أن القدس كان تحت الاحتلال الروماني منذ عام ٦٣ ق.م. وحتى عام ٦٣٦ م، أما في الفترة من عام ٣٧ ق.م. إلى مولد المسيح فقد كانت ملك اليهودية هو الحاكم (هيرودس) ويسمى بـ (هيرودس الكبير) اشتهر ببناء الهيكل الفخم في أورشليم ولكنه قضى على كثير من الناس وكان عديم الرحمة في حكم بلاده، وقد أدّى سوء ظنه إلى قتل عدد كبير من أولاده كما قتل زوجته (مريامن) وقد خلعت عليه روما لقب (ملك اليهود) ولكن الشعب اليهودي لم يقبل هذا أبداً فهو لم يكن من نسل الملك داود، كما أنه نصف يهودي[١] لقبه الملكي لم يكن أصيلاً لذلك كانت تقلقه على الدوام فكرة فقدان عرشه وتصرفاته حيال ما سمع من المجوس عن بحثهم عن الملك الجديد[٢]، المسيح المنتظر، شأنه شأن كثير من الطغاة على مر التأريخ إذ يتشابه موقفهم

---

(١) معنى الـ (نصف يهودي) هو الذي تكون أمه سامرية / التفسير التطبيقي للمعهد الجديد ص ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٥.

الدموي تجاه أي نبوءة تخص زعزعة عروشهم، ويتحدث الإنجيل عن تلكم التفاصيل قائلاً:

(وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاؤوا إلى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإننا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْب، وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إلى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ» فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. فَأَتَوْا إلى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لَا يَرْجِعُوا إلى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيق أُخْرَى إلى كُورَتِهِمْ. وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إلى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ» فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إلى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إلى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ

الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَب الزَّمَانِ لَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أولادِهَا وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ» فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إلى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ» فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إلى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ خِيلَاوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إلى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ، انْصَرَفَ إلى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»[١].

وبالرغم من أن يوحنا المعمدان لم يعاصر ذلك الحاكم الظالم العميل للرومان والذي فعل تلك المجازر الكبيرة بالشعب اليهودي، حيث توفي هذا الحاكم قبل ولادة يوحنا بفترة، لكنه عاصر الحاكم الظالم الثاني ألا وهو (هيرودسانتيباس) أحد أولاد (هيرودس الكبير) والذي لا يختلف عن سياسة والده العنجهية المتغطرسة ولا شك ان يوحنا كان يشعر بمعاناة الشعب اليهودي جراء تولي هذه العصابة الدنيئة على العرش لذلك كان لا بدّ له أن يواجه ذلك الانحراف السلطوي لسببين رئيسين:

الأول: إن هذه السلطة أذاقت الشعب اليهودي الأمرين (مرارة الاحتلال ومرارة الظلم) وهي امتداد لتلك السلطات التي شقت بطون الحبالى وقتلت الأطفال.

---

(١) متّى (٢) ١ ـ ٢٣.

الثاني: لا شك أن رجلاً مثل يحيى عليه السلام كان يهدف إلى التبشير بالمسيح المخلص عليه السلام كان يرى أن سلطة كهذه ستكون حاجزاً كبيراً وحجر عثرة في طريق القضية الإلهية العظيمة، وكان من مستلزمات دعوة يحيى عليه السلام هو (تهيئة الطريق) أو التعبيد إن صح التعبير ورفع كل حجر معرقل لمسيرة الخلاص القادمة قريباً.

وهو بعد أن قام بفضح الكهنة من الفريسيين والصدوقيين ـ على اعتبار أنهم حجر عثرة كذلك ـ رأى أن من واجبه إتمام المهمة ودق المسمار الأول في نعش الحكم الظالم. فبينما يتجنب القادة الدينين الآخرين المواجهة خوفاً من بطش الظالم وحرصاً على الدنيا غض كثير منهم الطرف عن موبقات هيرودس وانتهاكاته المتعددة، وقد بدأت المواجهة ووصلت ذروتها حين بدأ يحيى عليه السلام بالمعمودية وأخذ الناس يستمعون لمواعظه وكلامه.

ويذكر التأريخ أن من ضمن تلك الكلمات والمواعظ التي كان يلقيها هي توبيخ الحاكم وسياسته حيث يقول الإنجيل: (**وَبِأَشْيَاءَ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَعِظُ الشَّعْبَ وَيُبَشِّرُهُمْ 19. أَمَّا هِيرُودُسُ رَئِيسُ الرُّبْعِ فَإِذْ تَوَبَّخَ مِنْهُ لِسَبَبِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، وَلِسَبَبِ جَمِيعِ الشُّرُورِ الَّتِي كَانَ هِيرُودُسُ يَفْعَلُهَا، 20. زَادَ هذَا أَيْضًا عَلَى الْجَمِيعِ أَنَّهُ حَبَسَ يُوحَنَّا فِي السِّجْنِ**)[١].

وتذكر مصادرنا الإسلامية موضوع اعتقال يحيى عليه السلام واستشهاده المؤلم في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: (**إنّ ملكاً كان على عهد يحيى بن زكريّا لم يكفه ما كان عليه من الطّروقة حتّى تناول امرأة بغيّاً، فكانت تأتيه حتّى أسنّت، فلمّا أسنّت هيّأت ابنتها، ثمّ قالت لها**:

---

(١) لوقا: (٣) ١٨ ـ ٢٩.

إنّي أريد أن آتي بك الملك فإذا واقعك فيسألك ما حاجتك فقولي: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريّا عليه السلام فلمّا واقعها سألها عن حاجتها فقالت: قتل يحيى بن زكريا فقال: ما أنت وهذا إلهي عن هذا، قالت: مالي حاجة إلّا قتل يحيى فلمّا كان في اللّيلة الثّالثة بعث إلى يحيى فجاء به، فدعا بطشت ذهب فذبحه فيه وصبّوه على الأرض فيرتفع الدّم ويعلو وأقبل النّاس يطرحون عليه التّراب فيعلو عليه الدّم حتّى صار تلًّا عظيماً ومضى ذلك القرن، فلمّا كان من أمر بخت نصّر ما كان رآى ذلك الدّم، فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتّى دل على شيخ كبير فسأله، فقال: أخبرني أبي عن جدّي أنّه كان من قصّة يحيى بن زكريّا كذا وكذا، وقصّ عليه القصّة والدّم دمه فقال بخت نصّر: لا جرم لأقتلنّ عليه حتّى يسكن. فقتل عليه سبعين ألفاً، فلمّا وفي عليه سكن الدّم. وفي خبر آخر: إنّ هذه البغيّ كانت زوجة ملك جبّار قبل هذا الملك وتزوّجها هذا بعده، فلمّا أسنّت وكانت لها ابنة من الملك الأول قالت لهذا الملك: تزوّج أنت بها، فقال: لا حتّى اسأل يحيى بن زكريّا عن ذلك فإن أذن فعلت، فسأله عنه فقال: لا يجوز فهيّأت بنتها وزيّنتها في حال سكره وعرضتها عليه، فكان من حال قتل يحيى ما ذكر وكان ما كان)[١].

إن السبب الرئيسي لحنق الملك الحاكم على نبي الله يحيى عليه السلام هو المعارضة الشديدة التي أبداها تجاه موضوع زواج الملك من امرأة أخيه ـ أو ابنة أخيه على اختلاف الروايات ـ والظاهر أن بقية الكهنة والقادة الدينيين لم يكونوا يعارضون ذلك الزواج بالرغم من حرمته الأكيدة، فزوجة أخيه (هيروديا) لم تكن قد تطلقت أصلاً من أخيه (فيلبس) بل هجرته وقد أدانهما يوحنا المعمدان لأجل هذا الفجور[٢]، ويذكر

---

(١) بحار الأنوار ج١٤ ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص ٦٠.

الإنجيل الحادثة المشؤومة المحزنة على النحو التالي: **(فَإِنَّ هِيرُودُسَ كَانَ قَدْ أَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ وَطَرَحَهُ فِي سِجْنٍ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لَهُ: «لَا يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ» وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ خَافَ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ. ثُمَّ لَمَّا صَارَ مَوْلِدُ هِيرُودُسَ، رَقَصَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا فِي الْوَسْطِ فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ. مِنْ ثَمَّ وَعَدَ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبَتْ يُعْطِيهَا. فَهِيَ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَلَقَّنَتْ مِنْ أُمِّهَا قَالَتْ: «أَعْطِنِي ههُنَا عَلَى طَبَقٍ رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» فَاغْتَمَّ الْمَلِكُ. وَلكِنْ مِنْ أَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ أَمَرَ أَنْ يُعْطَى. فَأَرْسَلَ وَقَطَعَ رَأْسَ يُوحَنَّا فِي السِّجْنِ. أُحْضِرَ رَأْسُهُ عَلَى طَبَقٍ وَدُفِعَ إلى الصَّبِيَّةِ، فَجَاءَتْ بِهِ إلى أُمِّهَا. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَرَفَعُوا الْجَسَدَ وَدَفَنُوهُ)**[١].

ولا أدري كيف يكتب القلم هذه المأساة؟!.. فأنا بعدما انتهجت هذا الأسلوب في الكتابة ألا وهو النقل الواقعي للأحداث التي جرت في ذلك العصر من التأريخ جعلت القارئ الكريم من حيث يعلم أو لا يعلم يعيش أجواء تلك الفترة الذهبية الزاهرة من الزمان، الزمان الذي عايش رجالاً يعدون من عظماء البشرية بل معلمي الإنسانية ـ يحيى والمسيح عليه السلام ـ ياله من عصر لم يتكرر حتى مبعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وصحبة وأمير المؤمنين عليه السلام والصحابة في أول الدعوة الإسلامية، لكن هذا هو ناموس الحياة الذي خلقه الله عز وجل، مهما وجد الخير لا بدّ أن يوجد الشر إلى جنبه بمقتضى الامتحان والابتلاء الإلهي الذي يبتلى به أولياءه الصالحين.

وفي خبر آخر: إن عيسى ابن مريم عليهما السلام بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وينهاهم عن نكاح ابنه الأخت،

---

(١) متّى (١٤: ٣ ـ ١٢).

قال: وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، فلما بلغ أمها أن يحيى نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك بزينه، فلما رآها سألها عن حاجتها، قالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا، فقالت: لا أسألك غير هذا، فلما ابت عليه دعا بطشت ودعا يحيى عليه السلام فذبحه، فبدرت قطره من دمه فوقعت على الأرض، فلم تزل تعلو حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفاً في سنه واحدة ثم سكن..[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: **(إنّ عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغيّ، وكانت ثمود تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وأنّ قاتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما ابن بغيّ، وأنّه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلّا أولاد البغايا، وقال في قوله تعالى جلّ ذكره: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ قال: يحيى بن زكريّا لم يكن له سميّ قبله، والحسين بن علي لم يكن له سميّ قبله، وبكت السّماء عليهما أربعين صباحاً، وكذلك بكت الشّمس عليهما، وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وقيل: أي بكى أهل السّماء وهم الملائكة)**[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: **(أنّ الحسين بن علي صلوات الله عليهما بكى لقتله السّماء والأرض واحمرّتا، ولم تبكيا على أحد قطّ إلّا على يحيى بن زكريّا عليهما السلام)**[3].

لقد كانت قصة مقتل يحيى بن زكريا عليه السلام فجيعة بحق عظيمة ليس

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢١.

(٢) بحار الأنوار ج١٤، ص١٨٢.

(٣) بحار الأنوار ج١٨٣، ص١٤.

عند أهل الأرض فحسب بل عند أهل السماوات أيضاً، نعم ..قضى نحبه شهيداً مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

مواجهة الشهيد الصدر للسلطة والتضحية بالذات

لم تكن بداية المواجهة الأولى مع السلطة القائمة في العراق آنذاك بعد أن تصدى السيد الشهيد (قدس سره) وأقام صلاة الجمعة، بل توجد هنالك جذور وأصول قديمة للعمل ضد الدولة وترجع إلى عهد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م حين أصدر بياناً يخص الجهاد ضد النظام الحاكم في العراق وألقى خطبة شديدة في الجهاد حتى ألهب الحماس عند الناس، وتم اعتقاله على أثر ذلك لثلاثة عشر يوماً والاعتداء عليه بالضرب، ولم يكتب لتلك الصفحة الجهادية أن تستمر مع أفول شرارة تلك الانتفاضة التأريخية في حياة العراق.

من يتصفح تلك الفترة السوداء من تأريخ العراق بعد تولي حزب البعث الفاشي الحكم لا يكاد يجد أوراق مشرقة مضيئة سوى حركة السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) وحركة شهيدنا الصدر الثاني (قدس سره) والذين التحقوا بركبه، لقد كان النظام المتسلط على رقاب العراقيين وقتها يعدّ من أشد الأنظمة العالمية جبروتاً في التأريخ المعاصر للعالم. وارتكب جرائم عديدة على مستوى الداخل بإبادة جميع المعارضين له في السلطة ومن عامة الشعب وعلى مستوى الخارج بشن الحرب تلو الأخرى على دول الجوار، لذلك لم تكن مسألة تصدي السيد الشهيد (قدس سره) للمرجعية وقتها بالأمر الهين خصوصاً مع الطريقة اللانمطية التي استخدمها في التصدي كما أشرنا من قبل، فبطبيعة النظام

الصدامي كنظام تعسفي دكتاتوري لم يقبل أي نفوذ ديني ـ سواء كان شيعياً أم سنياً ـ أن يتغلغل داخل كيان المجتمع العراقي ويكون له تأثير ما على مجريات الأمور خصوصاً مع وجود قوى إقليمية وعالمية كبرى تساند ذلك النظام بكلّ الوسائل الممكنة مادياً وعسكرياً وحتى إعلامياً، وخير دليل على ذلك الحرب العراقية الإيرانية التي يعلم الجميع أنها كانت تدار ليس من قبل صدام وحده هذا إن كان صدام هو من يديرها أصلاً!

بين هذا وذاك شعر السيد بتعاظم المسؤولية الملقاة على كأهله وهو على يقين أن تصديه لهذا الأمر الخطير يستلزم الاستعداد لخوض الحرب الضروس على عدة جبهات، فجبهة رجال الدين لم تكن جبهة سهلة الخوض وبالإضافة إلى ذلك هنالك الجبهة القمعية الكبرى المدعومة من قبل الغرب والعملاء، كان يدرك أن السير في هذا النهج يعني طريق اللاعودة لأنه سيهدم (مخططات ألف سنة) كما ذكر هو بشخصه، وهدم تلك المخططات يعني تماماً تقديم القرابين الواحد تلو الآخر رغم هذا كله لم ينثني لحظة واحدة ولم يتردد فيما بينه وبين نفسه حتى وإن كان القربان الأخير هو حياته مع نجليه وأنصاره.

ونستطيع القول إن عملية المواجهة بين السيد الشهيد والسلطة تتألف من صعيدين:

الأول: المواقف العديدة مع صدام:

حيث كان السيد الشهيد يمتلك مواقف شجاعة ليس لها مثيل، وقد شهد الكثير ممن عاصره ذلك إلى الدرجة التي كان البعض فيها يقول: كيف يواجه النظام بهذه الشجاعة ما لم يكن متواطئاً معهم؟! ومن تلك

الأحداث طرده لمدير أمن النجف مرات عديدة، وفي إحداها دخل عليه فقال عندي قضية، فأجابه شهيدنا **(كن في الصف مع الناس فإذا بلغ إليك الوقت أجبتك فخرج مغضباً)**.

وفي يوم كان هناك (الاستفتاء العام للنظام) وهو استفتاء شكلي كما هو معروف حول شخص رئيس النظام فكان التعطيل الرسمي فأغلق جميع العلماء مكاتبهم خشيةً من السلطة إلا مكتب شهيدنا إذ كان مفتوحاً لاستقبال الناس والسيد حاضر فيه، وفي تلك الفترة كانت تصدر استفتاءات فيها مواجهة واضحة منها حرمة التعامل مع أزلام النظام إضافةً إلى مواقف أخرى أعرضنا عنها مراعاةً للاختصار.

الثاني: كان من خلال منبر الجمعة:

لم يكن ليجازف السيد الشهيد منذ انبثاق مشروع الجمعة بالتصدي العلني والمباشر للسلطة الحاكمة وإلا لكان ضيع الهدف المنشود من إقامتها، لذلك اتخذ أول الأمر أسلوب توبيخ وإدانة الاستعمار الغاشم والغرب والدول الاستكبارية كوسيلة واضحة المقصد لكل من عاصر تلك المرحلة بأن السيد الشهيد إنما كان يعني بالاستعمار كثيراً من الأحيان السلطة الحاكمة في العراق بالإضافة إلى الاستعمار ذاته، كيف لا وتلك الشرذمة القذرة حين تسلطت على رقاب العراقيين هي بمثابة استعمار حقيقي يهدف إلى تحقيق مآرب دنيئة خصوصاً تجاه الدين والمتدينيين، فبعد حادثة مقتل الشيخين في بداية مسيرة الجمعة آنذاك صرح السيد الشهيد (قدس سره) من على المنبر أن مقتل الشيخين إنما كان بسبب قوى معادية للإسلام، والعالم يعرف جيداً من هي الأطراف التي تعادي الإسلام من داخل أو خارج العراق، حيث قال: **(إننا نعلم على طول الخط من السابق مما قبل الإسلام وبعد الإسلام وحاضراً ومستقبلاً، إن**

القوى المعادية للإسلام والقوى المعادية للحق هي التي تقوم بذلك...)[١].

ومع تلك المقدمة حول عداء الإسلام أورد اسم الاستعمار كنوع من التمويه وإن كانت السلطة الحاكمة تعرف مقصد السيد الشهيد، لكن هذا الأسلوب في الشجب والاستنكار كان من ضمن الشعارات التي ترفعها الحكومة العراقية العميلة لذلك لن يستطيع أحد الإدانة أو الاعتراض أو حتى مساءلة السيد الشهيد عن مقصده من الكلام، يكمل كلامه حول مقتل الشيخين بقوله: **(الآن لشجب واستنكار الاستعمار الغربي الظالم بأعلى أصواتكم الصلاة على محمد وآل محمد....)**.

إضافةً إلى ذلك كله فإن الحقيقة الواضحة كالشمس ليس لدى محمد الصدر وحده بل للجميع في ذلك الوقت من أن حكومة ونظام عميلين لأمريكا وقوى الاستكبار العالمي كنظام صدام، لن يكون توجيه النقد والاتهامات بمنأى عنه إذا ما ذكر الاستعمار فحتماً هو ينفذ أيدلوجيات وأجندات تلك القوى، حتى وإن وصل الأمر إلى نقد قد توصف أنها هامشية أو غير مهمة لكن فكر السيد الشهيد لم يكن ليغفل أهداف رامية إلى الضغط على الناس والجماهير، وهذا ما رمى إليه السيد الشهيد في كلامه حين قال: **(على العموم أنا اعتقد أن الاستعمار يريد بهذه الطريقة وبهذه الضغوطات والبلاءات أن يذل إرادتنا وأن ينقص همتنا وأن يبعدنا عن ديننا حسب الطبع الإنساني وليس لأجل شيء خاص بنا أو بالسيد محمد الصدر... الآن لعودة الكهرباء طبيعياً في كل العراق بأعلى أصواتكم الصلاة على محمد وآل محمد...)**[٢].

في الجمعة التي تلت هذه الخطبة تناول موضوع سدنة المراقد

---

(١) الجمعة ١١.

(٢) الجمعة ١٥.

المقدسة وقام بفضحهم على الملأ ومن المعلوم أن هؤلاء كانوا موظفين لدى النظام لهذا يعتبر الطعن فيهم هو طعن بالنظام وكان من ضمن ما قاله فيهم: (.. **وأصبح السدنة والخدم مجرد موظفين لا يقيمون وزناً لأي أمر ديني أو دنيوي إلا لوظائفهم الحكومية وأوامر وزارة الأوقاف يتوجهون كزار اللعبة بيد الموجه لهم..**)[١].

ولم تمر هذه الكلمات بسلام ففي نفس اليوم قامت قوات الحرس الخاص والطوارىء والأمن والحزب العفلقي بتطويق الحرم العلوي ـ حيث كان يصلي الشهيد صلاة المغرب ـ وعندما رأى الناس ذلك توجهوا ليزيدوا من عدد المصلين خلف الشهيد الصدر (قدس سره) بشكل ملفت للنظر وقبل مجيء السيد إلى الحرم جاء محافظ النجف (قائد العوادي) ودخل إلى الديوان الذي كان مسؤول السدنة وأعوانه يتجمعون فيه وطوقت حمايته المصلين، وبعد ثلاثة أيام جاء مدير أمن النجف واعتذر للسيد الشهيد لكنه قال: (**إن القيادة تعتبر إهانة السدنة إهانة للقيادة من حيث إنها إهانة لوزارة الأوقاف فالواجب عليكم أن تعتذروا عن إهانة السدنة**)، وسرعان ما جاء رد الشهيد في الجمعة التالية بأنه لم يتنازل عن موقفه[٢]، بعد ذلك بدأت وتيرة الأحداث تتصاعد خصوصاً مع منع النظام ظاهرة السير راجلاً إلى كربلاء المقدسة بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام فكانت ردة فعل الشهيد أن أمر الجماهير بالمسير إلى كربلاء في ذكرى ولادة الإمام المهدي عليه السلام في ١٥ شعبان، لسنة ١٤١٩م فحدثت مواجهات بينه وبين النظام من جهة وبين الجماهير والنظام من جهة أخرى وبعدها أصدر السيد بياناً بواسطة أحد وكلائه ذكر فيه أهم الأحداث ونص البيان كما يلي:

---

(١) الجمعة ١٦.

(٢) الجمعة ١٧.

أحداث شعبان الأخيرة

١ ـ في يوم الجمعة بتأريخ ٢٣ رجب أمر الشهيد الصدر المؤمنين بالتوجه إلى كربلاء مشياً على الأقدام بمناسبة ولادة الإمام المهدي عليه السلام بعد أن بين أن المنع إنما كان من الدولة العراقية بخصوص زيارة الأربعين دون غيرها.

٢ ـ اتصل محافظ النجف بالشهيد الصدر بعد انتشار الأمر بالزيارة الشعبانية وطلب من السيد التراجع عن هذا الأمر في هذا الموسم وفي المواسم الأخرى لكن السيد أجابه بوضوح (أنا أمرت وانتهى الأمر).

٣ ـ بعد فشل الاتصال الأول، اتصل مدير أمن النجف بالشهيد الصدر وأبلغه منع الدولة ورفضها لفتوى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وطالب بأن يتراجع السيد عن هذا الأمر فكرر السيد الجواب السابق مؤكداً أن الأمر انتشر ولا أستطيع الرجوع.

٤ ـ زيارة (طاهر جليل حبوش) مدير الأمن العامة وبشكل مفاجىء مدينة النجف الأشرف عقيب اجتماع القيادة العراقية قام بزيارة السيد برفقة العناصر المسلحة ليعلمه بامتعاض تصميم القيادة العراقية على منع الزيارة الشعبانية وقال مهدداً: (إن خرجت الناس للزيارة مشياً فسوف تذهب الرؤوس وتراق الدماء وتتحمل أنت وحدك ما سوف يحصل).

٥ ـ أصدر مكتب الشهيد الصدر في النجف نتيجة لسلسلة الضغوطات المتواصلة وحقناً للدماء بياناً جاء فيه (**بلغنا من الجهات العليا في الدولة بالمنع الشديد والأكيد عن المشي إلى كربلاء المقدسة في هذا الموسم وكل موسم ومن هنا وجب العمل بالتقية وترك المسير**).

٦ ـ تجمع الآلاف من أهالي مدينة الصدر أمام مسجد الحسن عليه السلام في نفس المدينة تهيئاً للانطلاق في مسيرة المشي إلى كربلاء، ولم تتمكن السلطات من تفريق هذا التجمع رغم محاولاتها المتكررة ولكن ما إن وصل بيان الشهيد الصدر وتلي على المتجمعين حتى تفرقوا وتوجهوا إلى زيارة النجف لمؤازرة الشهيد الصدر هناك وقد أثار هذا الموقف حفيظة بعض المسؤولين في النظام حيث قال: **(إننا لم نستطع بكل ما فعلناه تفريق هذا التجمع وتمكن محمد الصدر من ذلك خلال ورقة صغيرة إذن خرج الأمر من أيدينا وأصبح محمد الصدر يفعل ما يشاء).**

٧ ـ اجتمع (لطيف نصيف جاسم) بشيوخ العشائر من مدينة الثورة وطلب منهم الامتناع عن توجه إلى كربلاء أو النجف أو حضور الجمعة هناك قائلاً لهم وبلغة التهديد: (لقد أعذر من أنذر) فرده الشيوخ واعترض عليه آخرون وتجاهلت الناس هذا التهديد بما فيهم شيوخ العشائر وتوجهوا صوب النجف الأشرف.

٨ ـ وصول أعداد متزايدة من الزوار إلى النجف الأشرف ومن كل أنحاء العراق وهم يرددون شعارات الوفاء والطاعة للسيد الصدر، رغم انتشار قوات الحرس الخاص وعناصر منافقي خلق على شكل مفارز ونقاط تفتيش في المناطق المحيطة بالنجف وكربلاء.

٩ ـ تواجد مجموعات عسكرية مسلحة وبشكل ملحوظ بالقرب من مكتب وبيت الشهيد الصدر في منطقة (الحنانة).

١٠ ـ توجه الشهيد الصدر إلى الضريح المقدس للإمام علي عليه السلام ليلة ١٤ شعبان (الخميس) لإقامة صلاتي المغرب والعشاء، وكانت الصلاة استثنائية من خلال الحضور الكبير الذي بلغ عدة آلاف وامتدت صفوف المصلين إلى الشوارع الملاصقة للحضرة المقدسة.

١١ ـ اصطدام أجهزة النظام ببعض الشباب المؤمنين الذين كانوا يرددون الاهازيج الإسلامية التي تحيي الشهيد الصدر، وقد تم اعتقال العشرات منهم بعد أن استشهد وجرح البعض منهم.

١٢ ـ اجتماع ممثلي السلطة بأئمة الجمع في بغداد وغيرها وإبلاغهم بأن يدعوا لصدام، رغم تحريم الشهيد الصدر الدعاء لغير المعصومين في الخطبة وقد امتنع جميع أئمة الجمع عن قرار السلطة إلا البعض.

١٣ ـ إبلاغ أئمة الجمع بمنع انتشار المصلين خارج المسجد وقد شجب الشهيد الصدر هذا المنع في خطبة ٢١ شعبان المرقمةبـ (٣٥).

١٤ ـ تصدي السلطة لتشويه الشهيد الصدر ووصفه بانه خائن وعميل لإسرائيل وإيران لأنه يستغل منبر صلاة الجمعة لخدمة الاستعمار (بحسب تعبيرهم).

١٥ ـ ركز السيد محمد الصدر في خطبتي صلاة الجمعة ٢١ شعبان المرقمة بـ(٣٥) على تحليل موقف النظام من منع الزيارة الشعبانية من خلال سرد نقاط هامة جداً وحساسة للغاية، بعد أن طلب السيد من الحاضرين ترديد أهازيج: (نعم نعم للإسلام ..نعم نعم للمذهب).

١٦ ـ أقيمت صلاة الجمعة بتأريخ ٢٨ شعبان رغم ظروف الضربة الجوية وتكررت الأهازيج الإسلامية.

٢٩ شعبان ١٤١٩

الاستشهاد

تصاعدت المواقف بشكل غريب في الأيام الأخيرة خصوصاً بعد مطالبة السيد الشهيد بإطلاق سراح المعتقلين في الأسبوعين الآخرين شاع في كافة الأوساط أن رأس النظام(صدام اللعين) قد اتصل بالشهيد وأمره بسحب كلامه علانية، وأن يعلن في الجمعة الأخيرة عن إلغاء صلاة الجمعة فرفض، وفي الجمعة الأخيرة تم ايعاز الأوامر بتنفيذ الجريمة بعد الساعة التاسعة ليلاً.وعندما انتهى السيد الشهيد (قدس سره) من صلاة الجمعة في هذا اليوم وخرج من المسجد عندما وصل إلى سلم الباب سقط على وجهه فالتفت بشكل غريب وهو يبتسم وينظر في الفراغ تجاه المحراب، بعد أن خرج (قدس سره) من المكتب حوالى الساعة التاسعة ليلاً ونزل من الدرجات التي تقابل باب القبلة فتحول له باب السيارة فوقف يناجي أمير المؤمنين عليه السلام، وكان قبل ذلك لا يفعل ذلك وابتسم على خلاف المعتاد وهز رأسه وأطال الوقوف.

كان الكمين منصوباً له في ساحة ثورة العشرين حيث سارت سياراتهم وكان الشارع مظلماً طيلة أيام السنة في هذا المكان، وعند وصول السيارة للمكان المطلوب خرج من الظلام أحد القناصين ووجه السلاح إلى السيد مؤمل رحمه الله فاستدار بكل سرعة السيارة ولكن الإطلاقة كانت أسرع فأصابت جبهة السيد مؤمل فارتطمت السيارة بشجرة على الرصيف، فأسرعت مجموعة الكمين إلى السيارة وأمطرتها بالرصاص،

وكان السيد مصطفى جالساً خلف أبيه وعندما أطلق الرصاص ارتمى عليه ليحميه من الرصاص فقطعت أصابع كفه اليمنى وجزء من باقي الكف، وأصيب بإطلاقتين تحت الأضلاع، أما إصابات الشهيد الصدر فكانت واحدة في كتفه وأخرى في فخذه والقاتلة قد اخترقت جبهته، ويروى أن هذه الأخيرة قد أطلقت في المستشفى حيث كان السيد الشهيد حياً إلى وقت نقله.

لقد رحل يوحنا القرن العشرين تاركاً ورائه الكثير من اللوعة والأسى في قلوب محبيه ومهما كانت الحادثة مؤلمة فإن صداها لا زال إلى اليوم في الأذهان لكي تكون خاتمة مأساوية للقرن العشرين، هذا القرن الذي شهد المجازر والحروب في الحربين العالميتين وذاقت شعوب العالم مصائب وويلات عظيمة ستبقى صفحة سوداء في التأريخ، أما الحروب في المنطقة العربية والشرق الأوسط فحدث ولا حرج، لكن المرارة إلى اليوم في القلوب على مصرع العلماء العاملين كأمثال السيد محمد باقر الصدر وأخته العلوية آمنة بنت الهدى (قدس سره) وأخيراً مصرع السيد محمد صادق الصدر ونجليه والشهداء الذين في طريقه، لم ولن ننساهم ما حيينا.

إن تلك النفوس الضعيفة التي كانت تحمل كل الضغينة للشهداء الأبرار كالسيد الشهيد لحدّ هذ اليوم ... حيث كانت ولا زالت مواقفهم سلبية تجاه من يدافع عن الحق والمظلومين ولا تأخذه في الله لومة لائم، فكانوا كما وصفهم في إحدى خطبه: (**إنهم كانوا سلبيين مائة بالمائة لم ينبس أي واحد منهم أو من وكلائهم أو من أصدقائهم ببنس شفة بل قد صادف أن التقينا ببعض منهم فتراهم يتحدثون عن أي شيء إلا عن هذا الأمر وكأنهم لا يعلمون ما يحصل في المجتمع على الإطلاق ...ولا اكتراث لهم بشيء من ذلك أصلاً لكي يتركوا السيد**

محمد الصدر وحده في الميدان وينسحبوا من تحت المسؤولية بكل سهولة ولو كانوا قد بينوا رأيهم وآزروا طاعة الله وأولياء الله وشعائر الله لما حصلت النتائج التي رأيناها وأسفنا لها فهم بطبيعة الحال يتحملون قسطاً من المسؤولية سواء رضوا أم غضبوا..)[١].

إن عزاءنا الوحيد في ذكر هذه المأساة هي كلماته الشهيرة حول السرور الذي دخل على قلوب أعداء الدين بعد مقتله حيث قال: **(وسأموت وأنا مرتاح ويكفي في موتي شفوة وفرح لأمريكا وإسرائيل وهذا غاية الفخر في الدنيا والآخرة..).**

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبحث حياً.

بين يحيى والمسيح عليهما السلام

يذكر التأريخ أن الشعب اليهودي كان في تلك الحقبة من الزمان ينتظر المسيح المخلص بحسب إيمانهم بالنبوءات التي وردت على لسان أنبياءهم السابقين، وبعد ان ظهر لهم يحيى بن زكريا عليه السلام وشرع بحركته الجديدة ألا وهي الدعوة إلى التوبة والتعميد بالماء، كان لا بدّ أن تتسرب فكرة قوية إلى الأذهان في احتمال كون يحيى هو المسيح المنتظر، أو على الأقل أحد المنتظرين في التراث الديني اليهودي آنذاك، ويذكر الإنجيل ما كان يحدث في تلك المرحلة المهمة من خلال نقل الأحداث الجارية في الأوساط المعاينة للمشهد مع ردة الفعل المتوقعة:
- **(إذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح 16. أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه.هو سيعمدكم بالروح**

---

(١) الجمعة ٣٤.

القدس ونار 17. الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ 18. وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم)(١).

وهنا نلاحظ كيف نفى يحيى ضمنياً أن يكون هو المسيح الموعود وذلك من خلال التذكير بأنه يعمد بالماء لا بالروح القدس التي هي خصوصية المسيح، والحق أن النفي الصريح كان في موضع آخر من الإنجيل حين وقعت الجماهير في شبهة كونه هو مخلص اليهود فأرسل إليه رجال دين كونهم من المفترض يحملون الثقل الديني النبوءاتي للتوراة المبشرة بالمنقذ الإلهي لعلهم يتمكنون من التعرف على كنه هذا النبي: **(وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت 20. فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح)**(٢).

إن هذا الاشتباه قد وقع فيه الحاكم (هيرودس) نفسه حين لم يستطع أن يتبين شخص المسيح من يحيى حين أخذ نفوذ دعوة عيسى بالانتشار في البلاد وذلك بعد مقتل يحيى بفترة وجيزة ويوجد نص إنجيلي تحت عنوان حيرة هيرودس يذكر هذه المسألة: **(فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب. لأن قوماً كانوا يقولون إن يوحنا قد قام من الأموات 8. وقوماً إن إيليا ظهر. وآخرين أن نبياً من القدماء قام 9. فقال هيرودس يوحنا أنا قطعت راسه. فمن هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا.وكان يطلب أن يراه)**(٣).

على أي حال لا بد من التنويه في هذا المقام إلى أن الشبهة في قضية المنقذ الإلهي لها دور كبير في تبيان حقيقة الأمر الإلهي في كل

---

(١) لوقا ٣: ١٥ ـ ١٨.

(٢) يوحنا ١: ١٩ ٢٠.

(٣) لوقا ٩: ٧ ـ ٩.

زمان ومكان خصوصاً في آخر الزمان مع ظهور المهدي عليه السلام لأن المؤمن الباحث عن الحق والحقيقة لا بد أن يمر بجميع المراحل حتى يكتمل ويسمو مع التسليم بأن الخالق عز وجل هو الهادي والمعين ولا يذر عبادة الصالحين في تيه الشبهات أبداً من دون سلاح وأداة يصل بهما إلى طريق النجاة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه مع المفضل يقول: (**يا مولاي فكيف يدرى ظهور المهدي عليه السلام وإن إليه التسليم؟ قال عليه السلام: يا مفضل يظهر في شبهة ليستبين فيعلوا ذكره ويظهر أمره وينادى باسمه وكنيته..**)[1].

خلاصة القول أن أمر المنقذ الإلهي وظهوره ومعرفته هي من الأمور التي تحتاج إلى الكثير من التوفيق والإيمان والإخلاص وأن الحيرة التي أصابت الناس كهيرودس ومن عاصر حركة ودعوة يحيى والمسيح عليهما السلام لم ولن تنتهي حتى يورث الله الأرض للصالحين من عباده لأن هذا هو ناموس الدنيا دار البلاء والامتحان قال عزّ من قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

بين الشهيد الصدر والمهدي عليه السلام

تبقى الحركات الإسلامية الرائدة وخصوصاً ما يتعلق منها بقضية المنقذ الإلهي محل جدل كبير بين الناس، فبين مؤيد ومعارض وبين قائل ببطلانها أو أحقيتها، فالعقل البشري مجبول على وضع النظريات والفرضيات ويحتم على صاحبه أن يتحرك بين أروقة المعطيات العديدة منها ليستقر في النهاية على حقيقة ما تطمئن لها النفس وتسكن، وما

---

(١) مختصر بصائر الدرجات ص١٨٠.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

دامت حركة السيد الشهيد من الحركات التي أثارت الجدل الكبير حتى اليوم، وكان لدى البعض من الناس وقفات استثنائية عند حركته حين نشوءها، فقائل قال: إن السيد الشهيد هو المهدي المنتظر ، وآخر يقول بأنه النفس الزكية كما اشتبه بني إسرائيل بأمر يحيى بن زكريا ، وبين هذا وذاك كان تعامل السيد الشهيد بجدية وحزم مع القائلين بتلك الأطروحات والنظريات، فالأمر لم يقف عند حدّ الاحتمالات والنظريات فحسب، بل وصل إلى مرحلة الجزم والقطع حين أطلق أحدهم كلمته الشهيرة مخاطباً السيد الشهيد (**تزول الجبال ولا يزول اعتقادي في أنك المهدي المنتظر**) فناقشه الشهيد في المسألة وقال له:(**هل يوجد احتمال ولو ضئيل بأني لست المهدي ؟ فإذا وجد هذا الاحتمال بطل استدلالك**).

أما الذين قالوا بأطروحة إنه صاحب النفس الزكية التي تقتل قبيل ظهور الإمام فقد وصل الأمر إلى أن أحدهم وقف أمام صورة الشهيد في محافظة البصرة وخاطبها بالقول: (متى تقتل ونرتاح بخروج الإمام ؟ فكان موقف السيد الشهيد أن صرح: (**إن نشر هذا الادعاء هو مشروع لقتلي ونشره هو دعم لقتلي**).

في الواقع أن هذا الطرح ليس بجديد على الساحة الإسلامية فلطالما ظهرت حركات مماثلة تتبنى قضية الإمام المهدي في تأريخنا الإسلامي القديم والمعاصر، ابتداءاً من حركة (محمد بن عبد الله الدفاس) والملقب بالنفس الزكية وانتهاءاً بحركة (جهيمان العتيبي) الذي تم قتله في الحرم المكي في نهاية سبعينيات القرن المنصرم، وإلى اليوم نسمع بتلك الحركات التي تدعي الانتساب إلى الإمام الحجة (ولو رجعنا إلى الواقع ولاحظنا بعض الحوادث التي وقعت من قبيل قتل بعض العلماء نلاحظ اختلاف العلماء والباحثين والكتّاب في تعيين النفس

الزكية فمنهم من ذهب إلى القول بأن النفس الزكية هو السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، ومنهم من قال إن السيد محمد صادق الصدر (قدس سره) هو النفس الزكية، ومنهم من يقول إن النفس الزكية هو السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)، وقد ذهب الشيخ الكوراني في كتابه عصر الظهور إلى القول إن النفس الزكية الذي يقتل مع سبعين من الصالحين في ظهر الكوفة هو السيد محمد باقر الصدر وقد ذكر ذلك في الكتاب ولكنه وبعد مقتل السيد محمد باقر الحكيم غير رأيه، وقال يحتمل أن يكون السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) هو النفس الزكية وقام بإعادة طبع الكتاب وأدخل هذا الرأي فيه.

والحقيقة أنه يلاحظ من كلام الشيخ الكوراني الاضطراب علماً أنه عالم وباحث في قضية المهدي عليه السلام والحقيقة أن ذلك الاضطراب يرجع إلى عدم الإحاطة الكاملة من قبل الشيخ بهذه العلامة المهمة وعلى هذا فإنه لا يمكن الاطمئنان والوثوق بآراء الشيخ الكوراني لأنها تبقى مجرد احتمالات لا دليل عليها وهي عرضة للتغيير بين الحين والآخر كما هو ملاحظ من كلام الشيخ الكوراني، أن النفس الزكية الذي يقتل في ظهر الكوفة حسني النسب وهذا مما ذكرته الأخبار وتعارف بين الباحثين في قضية المهدي المنتظر فقول السيد الكوراني إن السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) هو النفس الزكية لا أدري كيف قال به والشهيد الصدر (قدس سره) حسيني النسب كما لا يخفى ثم إن النفس الزكية يقتل في ظهر الكوفة من قبل دولة بني العباس، والشهيد الصدر قتل من قبل دولة بني أمية الثانية المتمثل بحكومة الطاغية صدام (لعنه الله) حيث إن نهاية حكومة بني العباس الثانية علامة من العلامات الدالة على قرب القيام المقدس للإمام المهدي عليه السلام وأن نهايتها تكون على يد الخراساني والسفياني كما دلت على ذلك الأخبار والروايات، فقد جاء في الرواية

الواردة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **(لا بدّ أن يملك بني العباس فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا وهذا من ها هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما أما أنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً)**[1].

والواقع أن حكومة صدام لم يقضي عليها السفياني لأنه لم يظهر بعد وكذلك الخراساني لأنه لم يظهر أيضاً، كما أن الشهيد الصدر الأول (قدس سره) قتل لوحده ولم يقتل معه سبعين من الصالحين والذي يظهر من الروايات أن النفس الزكية التي تقتل في ظهر الكوفة يكون معه سبعين من الصالحين يقتلون في وقتٍ واحد، وبهذا يتبين عدم صحة قول الشيخ الكوراني من أن الشهيد الصدر (قدس سره) هو النفس الزكية أما ما يخص السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) وأنه هو النفس الزكية فيرد عليه أن السيد الحكيم لم يقتل معه سبعين من الصالحين بل إن عدد المقتولين معه زاد على ثمانين رجلاً. وإن قول بعضهم من أن منهم سبعين صالحين والباقين غير صالحين فإن هذا الكلام مردود وفيه إساءة لحرمة المؤمنين ثم إن الأئمة عليهم السلام قد جعلوا السبعين حدًّا لمعرفة تلك العلامة فهي لا تقبل الزيادة والنقيصة، كما أن السيد الحكيم (قدس سره) لم يقتل من قبل حكومة بني العباس فقد قتل رحمه الله ولم يكن هناك حكومة معينة في العراق يومئذٍ.

ونحن باعتقادنا أن النفس الزكية الذي يقتل في ظهر الكوفة لم يقتل بعد لأنه لا يقتل حتى تقوم حكومة بني العباس حيث إن انهيار تلك الحكومة يكون بعد مقتل النفس الزكية في ظهر الكوفة ولا يستبعد أن

---

(١) غيبة النعماني ص٢٥٩.

يكون السيد محمد صادق الصدر (قدس سره) نفسٌ زكية ولكنه ليس المقصود بالنفس الزكية المعهودة التي تقتل في ظهر الكوفة مع سبعين من الصالحين والتي عدها الأئمة الطاهرين عليهم السلام كعلامة من العلامات الدالة على قيام الإمام المهدي عليه السلام[1].

عموماً هنالك الكثير من المناقشات حول هذه العلامة المهمة من علامات الظهور المقدس ومن أراد الوقوف على تفاصيل حركة النفس الزكية في آخر الزمان يمكنه مراجعة موسوعة القائم للسيد القحطاني الجزء الأول.

الشهيد الصدر والسيد اليماني

إن هذا الموضوع من أهم المواضيع التي تحتاج إلى المزيد من الموضوعية والواقعية في الطرح في قضية السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بعيداً عن المغالاة والتزييف فشخص السيد الشهيد بعد كل ما ذكرنا لا يحتاج إلى إضافات غير واقعية لا تمت إلى سيرة حياته ومكانته الشريفة ومنزلته عند الله والناس بصلة، فهو أشهر من نار على علم في عصرنا الحالي، فنحن بعد أن أثبتنا بما لا يقبل الشك أن حركة السيد الشهيد كانت هي الحركة الممهدة للظهور المقدس للإمام المهدي عليه السلام، لا بد من لفت الانتباه إلى مسألة رئيسية ومهمة تتعلق بنظام تتابع وتعاقب الأحداث والعلامات في آخر الزمان قبيل ظهور الحجة عليه السلام، وهي كما وصفها أهل البيت عليهم السلام: **(كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً)**.

فالمعلوم لدى الباحثين في قضية الإمام الحجة عليه السلام أن ظهور اليماني يكون سابق لظهور المهدي عليه السلام باعتباره صاحب أهدى الرايات

---

(١) كتاب القحطاني يناقش العلماء والمدعين ص١٦٤.

التي تظهر وكونه من تناط إليه مهمة تسليم الراية إلى يدي الحجة المنتظر عليه السلام، وعلى الرغم من قلة الروايات والأخبار التي تتناول هذه الشخصية المهمة في حركة الظهور لكن هذا لا يقلل من محوريتها في الأحداث حيث ورد: (**خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة وفي شهر واحد في يوم واحد ونظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم. وليس في الرايات أهدى من راية اليماني هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على (الناس و) كل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رأيته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم**)(١).

ويتضح من الأخبار أن ظهور اليماني هو من أحد علامات الظهور التي تسبق قيام الإمام الحجة عليه السلام حيث ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (**النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم، قال: وفزعة في شهر رمضان توقظ النائم، وتفزع اليقظان، وتخرج الفتاة من خدره**)(٢).

إذن يثبت لدينا أن خروج أو قيام اليماني يسبق قيام الحجة عليه السلام مع اعتباره أحد علامات الظهور، لذلك يثبت لدينا أيضاً أن حركة السيد الشهيد (قدس سره) هي حركة ممهدة بشكل رئيسي لحركة السيد اليماني الذي سوف يسلم الراية للمهدي عليه السلام، والحقيقة أنني أردت أن أصل بالقارئ الكريم إلى هذه النقطة المهمة لأننا نعتقد بظهور السيد اليماني قبيل ظهور

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢ ص٢٣٢.

(٢) الغيبة للنعماني ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

الإمام المهدي عليه السلام لكي يعد العدة ويهيئ المؤمنين ليكونوا على مستوى النصرة الحقيقية للموعود المنتظر وهذا الاعتقاد ناشىء من الأخبار التي جاءت عن المعصومين مبينة لهذه العلامة الحتمية لظهور الإمام المهدي عليه السلام، ومن هذا نستنتج أن حركة السيد الشهيد كانت ممهدة بشكل فعلي لحركة السيد اليماني الذي يقوم مقام عيسى عليه السلام في آخر الزمان والذي وصفته الأخبار أنه أشبه الناس بعيسى عليه السلام. الذي من صفته أنه مربوع القامة أبيض كالقطن نور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه وشعره يسيل على منكبيه أقنى الأنف دري المقلتين وغيرها من الصفات، ومن أراد المزيد من التفصيل يمكنه الرجوع إلى موسوعة القائم عليه السلام الجزء الأول والتي أثبت فيها السيد القحطاني أن السيد اليماني هو شبيه عيسى ابن مريم عليهما السلام.

السيد الصدر وآخر الزمان

هنالك منظمات دينية ومسيحية ويهودية اعتقدت أن بحلول عام(٢٠٠٠م) سيظهر السيد المسيح عليه السلام، وقد ركزت الكثير من هذه الحركات اليهودية والمسيحية على الاستعداد والتهيوأ لهذا الحدث الجلل، حيث إن هذه الحركات والمنظمات صرحت بشكل مباشر عن اعتقادها الراسخ وإيمانها القوي بظهور السيد المسيح عليه السلام في عام ٢٠٠٠م، حيث جاء في صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية نقلاً عن تقرير صادر من المكتب الفدرالي الأمريكي في ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م أن المتطرفين المسيحيين الأمريكيين يستعدون للقيام بأعمال عنف كبيرة في بداية القرن الواحد والعشرين وأضافت الصحيفة أن هذا العنف المتوقع سيكون راجعاً لاعتقاد الذين يؤمنون بالإنجيل بأن نهاية العالم ستكون في بداية الألفية الثالثة، ويذكر التقرير أن عدداً من المنظمات الدينية التي تنتظر يوم الدينونة في عام ٢٠٠٠م خزنت أسلحة في مخابىء سرية بغية

تنفيذ بعض العمليات المسلحة في مناطق مختلفة من العالم، ولم يكن هذا الاعتقاد منحصراً في مجموعة صغيرة في بلدٍ واحد بل كان هذا الاعتقاد سائداً بين المتنبئين والمنتظرين على حدٍّ سواء، وفيما يلي سوف نلقي الضوء على هذه التنبؤات وماهي علاقتها بتأريخ استشهاد الشهيد الصدر (قدس سره).

جاء في كتاب (المجيء الثاني للسيد المسيح وهل سينتهي العالم عام ٢٠٠١ أو ٢٠١٢)؟ للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير في طبعته الأولى في مصر عام ١٩٩٩م بعض التنبؤات التي تحدثت عن حصول حدث عظيم جلل في نهاية الألفية الثانية وتحديداً ما بين عام ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٠م ونعتقد نحن أن هنالك ترابط كبير بين هذه التنبؤات التي انتشرت في أواخر القرن الماضي مع حركة السيد الشهيد ومقتله عام ١٩٩٩م، حيث ذكر القس هذه التنبؤات في كتابه:(ركز الكثيرون من العلماء والعرافين على أحداث سنة ١٩٩٩م والتي قالوا إنها ستؤدي حتماً إلى نهاية العالم قريباً!!).

وتقول القاضية الأمريكية باربارا مارسينياك Barbara Marciniak: سيشهد عام ١٩٩٩م عدد ملحوظ ورهيب من التقلبات المالية.

وتنبأ العراف الفرنسي **نوسترادموس،** الذي عاش في القرن السادس عشر (١٥٠٣ - ١٥٦٦م) والذي يُعتبر أشهر عراف في التاريخ الفرنسي، بعدة تنبؤات خاصة بأيامنا هذه وبنهاية العالم، وفيما يلي أهمها:

١ - إن ملك الرعب العظيم سيأتي من السماوات «في العام ١٩٩٩م وسبعة أشهر (يوليو ١٩٩٩م)، سوف يأتي من السماء ملك الرعب. وسيعيد إلى الحياة ملك المغول العظيم. سيحكم قبل الحرب وبعدها في سعادة». ويرى بعض الذين اهتموا بهذه التنبؤات أن ملك الرعب هنا هو ضد المسيح.

٢ - حدوث ضيق عظيم في نهاية دائرة القرون، سنة ٢٠٠٠م «بعد شقاء كبير تتعرض له الإنسانية يدنو شقاء أكبر منه بكثير عندما تتجدد الدورة العظمى للقرون. ستمطر السماء دماً، وحليباً ومجاعةً وحرباً ومرضاً، وسوف تُرى نار في السماء وهي تجر وراءها ذيل من الشرر».

٣ - حدوث مجاعة عالمية عظيمة تعم الكرة الأرضية كلها «المجاعة الكبيرة التي أحس باقترابها ستنتقل (من مكان لآخر) ثم تلف العالم بأسره، ستشمل مساحات واسعة جداً وستدوم طويلاً إلى الحد الذي سينزعون فيه الجذور من الأشجار ويختطفون الأطفال من الصدور».

لقد ركز عدد كبير على سنة ٢٠٠٠م كتاريخ لنهاية العالم لدرجة أن إحدى الإحصائيات التي أجرتها هيئة Time CNN تقول إن هناك ٢٠ من الشباب الأمريكي يؤمنون أن المسيح سيأتي ثانية سنة ٢٠٠٠م !! كما أن هناك ٣١ من الشباب الأمريكي، أيضاً، غير متأكدين من ذلك !! بل ويرى واحد من كل ستة من الأمريكيين أن حرب الخليج ستؤدي إلى معركة هرمجدون !! ربما لأنها نهاية ٢٠ قرناً للمسيح. يقول لستر كمرول Laster Cumrall في كتابه «أنا أتوقع سنة ٢٠٠٠م»؛ «أنا أرصد في نبواتي نهاية الإنسان على هذه الأرض وذلك بحلول سنة ٢٠٠٠م ثم يأتى المسيح ليملك على أورشليم ألف سنة». وينادي القس مارفنبايرز Marvin Byers في جواتيمالا بأن الاختطاف سيحدث سنة ٢٠٠٠م.

لقد شاع عند الناس بأن عام ٢٠٠٠ سيحصل فيه أمر مهم، والمعروف ان السيد الشهيد محمد صادق الصدر قد استشهد في عام ١٩٩٩م وهو يحيي عصر الظهور بحسب ما أثبتنا في طيات هذا الكتاب، ولا بدّ أن يأتي بعد يحيى السيد المسيح ﷺ كما لا يخفى، فلربما أن

هذه النبؤات بظهور السيد المسيح صحيحة ولربما شبيه السيد المسيح (السيد اليماني) قد استلم الأمر الإلهي وأصبح لديه ظهور، والظهور ليس كالخروج فقد يكون هذا الأمر حاصل ونحن لا نعلم.

إننا لا نعطي لهذه التنبؤات قدسية من حيث البحث العلمي إلا أننا نعتقد بأن هذه الفترة الزمنية هي ليست كما يقولون بأنها تمثل نهاية العالم أو فناء الأرض بل إننا نعتقد بأنها تمثل بداية لمرحلة جديدة في تاريخ الإنسانية جمعاء وفي نفوس المنتظرين للطلعة البهية خصوصاً بعد تحقق الكثير من العلامات الدالة على أننا في عصر انبثاق النور الساطع من الظهور المبارك لمنقذ البشرية من الظلم والجور.

بعد أن بينا فيما تقدم من طيات هذا البحث أوجه الشبه والتقارب بين كلًّا من نبي الله يحيى عليه السلام والسيد الشهيد (قدس سره) نأتي الآن إلى بيان أوجه الشبه بين كلًّا من حركة الشهيد الصدر (قدس سره) ودعوة الإمام المهدي عليه السلام وحركته المباركة.



حركة السيد الصدر
الحركة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام

تمهيد

كان السيد الشهيد الصدر (قدس سره) وما زال شعلة أنارت للكثيرين طريق الحق والهداية ومهدت الطريق للإمام المهدي عليه السلام وأنصاره. وإننا ندرك وعلى يقين إن سماحة السيد (أعلى الله مقامه) قد رفع حجر كبير كان يسدّ الطريق الذي يربطنا بإمام زماننا الحجة بن الحسن عليه السلام فكان للسيد الفضل الكبير في إزالة ذلك الحجر ليمتد نور أبصارنا فننظر كل الطريق ونتعرف على الحقيقة التي ضلت غائبة عنا وعن أجيال ممن سبقنا.

وإنني حين استعرض الشبه الكبير بين حركة السيد الشهيد (قدس سره) وبين حركة الإمام المهدي عليه السلام لا أريد القول إن الشهيد الصدر كان معصوماً أو أنه كان متصلاً بالإمام المهدي عليه السلام اتصالاً مباشراً أو أن الشهيد الصدر(قدس) هو وحده يمثل الحق كل الحق ولا يوجد غيره من يدعو إلى الحق كما قد يتصور البعض حين قراءته لهذا البحث ولكنني كنت وما زلت على يقين واعتقاد تام من أن السيد (قدس سره) كان أول الممهدين في عصرنا هذا للإمام المهدي عليه السلام سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر.

وأن أول الممهدين حتماً ليس كالإمام المهدي عليه السلام الذي يأتي بالحق كله كما أن اليماني الموعود يأتي بالحق ولكن بنسبة أقل من

الإمام المهدي (عليه السلام) وأكثر من سماحة السيد (قدس سره) كما كان من شأن السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) حيث كانت حركته مقتصرة على الجانب العلمي إضافة إلى حرب الطغاة والتنديد بهم، ولكن السيد محمد صادق الصدر (قدس سره) حينما أتى كانت حركته أشمل وأوسع من حركته السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) وقد شملت جوانب عديدة ومختلفة كما إنني لا أقول إن الشهيد الصدر (قدس سره) لا يخطأ فهو ليس معصوماً ولكنني أعتقد أن سماحته (رضوان الله عليه) كان مسدداً من قبل الإمام المهدي (عليه السلام) أو سيدنا الخضر (عليه السلام) وكان مؤيداً بتأيد الله تبارك وتعالى وهذا ما يظهر من خلال مسيرته وحركته كما سيتبين لنا خلال البحث نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويسددنا لما يحبه ويرضاه.

قيامه بعد موته

كان سماحة السيد الشهيد السعيد محمد صادق الصدر (أعلى الله مقامه) من طلبة البحث الخارجي المتفوقين والمتميزين والمشتغلين فقد كان يحضر درس البحث الخارجي عند أعلم العلماء في وقته، حيث كان يحضر بحث السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) وكان من الطلبة الأوائل في حضور السيد (قدس سره) كما أنه كان يحضر درس السيد الخوئي (قدس سره) وكان أيضاً من المتفوقين في الدرس حيث كان ينظر إليه من قبل أساتذته وزملائه في الدرس نظرة ملؤها الإعجاب بذكائه ونباهته وتفوقه العلمي على باقي أقرانه من طلبة البحث الخارجي آنذاك.

وكان السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) يأمل فيه أن يكون عالماً بارعاً. واستمر الحال بالسيد الشهيد هكذا حتى بدأت الأمور تسوء يوماً بعد يوم فقد بدأت حكومة الطاغية صدام (لعنه الله) بمضايقة السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) وراحت تعتقل كل من يتقرب من السيد أو

يحضر درسه فتفرق طلبة البحث الخارج ولم يعد يحضر الدرس يومها إلا قلة قليلة ومنهم السيد الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره) وبعد اعتقال سماحة السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) واستشهاده فيما بعد اشتد الأمر على سماحة السيد الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره) حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية ووضعوا نقطة للأمن بباب داره ولم يسمح له بالخروج إلا مرة واحدة في الشهر حيث يخرج لزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام واستلام راتبه، واستمر هذا الحال لسنوات طويلة، فبعد أن كان السيد الشهيد (قدس سره) من الطلبة المعروفين والمتميزين وبعد أن كاد نجمه يلمع كأحد العلماء الذين يشار إليهم بالبنان اختفى السيد وأفل نجمه ونسي ذكره وخفي أمره فلا يكاد يذكره ذاكر، فقد مات ذكر السيد الشهيد وهو حي لا يستطيع أن يمارس عمله كأحد أبرز العلماء العاملين على خدمة المذهب والدين.

وما إن حانت الفرصة بعد الانتفاضة الشعبانية حيث بدأ صدام وجلاوزته باستخدام سياسة جديدة مع أبناء المذهب الشيعي حيث قام ظاهراً بإعطائهم بعض الحريات. فاستغل السيد الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره) وبذكائه المعهود هذه الفرصة وعاد إلى الساحة العلمية من جديد ولكن ليس كطالب هذه المرة بل عاد ليعلن عن اجتهاده ويعرض نفسه كمرجع للمسلمين وشيئاً فشيئاً بدأت مرجعية السيد الشهيد بالانتشار بين الناس وبدأت تتسع يوماً بعد آخر حتى سطع نجم السيد من جديد وظهر ذكره وانتشر بين الناس وعلا ذكره كمرجعاً وقائداً، فأعلن عن ثورة فكرية ونهضة علمية أحدثت ضجة في الأوساط العلمية والثقافية والحوزوية، بل وصل الأمر أن العامة لا تكاد تنسى ذكره فظهر ذكره على أفواه المحقين والمبطلين.

وهكذا يكون أمر القائم عليه السلام حيث دلت الروايات الواردة عن الأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

إن القائم عليه السلام يقوم بعد موت ذكره بين الناس حيث تكون غيبة وحيرة فلا يكاد يذكره ذاكر فيموت ذكره بين الناس، وهذا ما ورد في الرواية الواردة عن الإمام محمد الجواد عليه السلام حيث قال: (........ **إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له: يابن رسول الله ولم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ فقال: لأن له غيبة يكثر آياتها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون ويكذب فيه الوقاتون ويهلك فيه المستعجلون وينجوا فيه المسلمون**)[١].

والواقع أن هذا الأمر وقع مع سماحة السيد الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره) كما بينا. وهذه في الواقع نقطة من نقاط الشبه بين حركة السيد الشهيد وبين حركة الإمام المهدي عليه السلام. فإن حركة السيد رحمه الله حركة ومثالاً مصغراً لحركة الإمام عليه السلام.

فلا تستغرب إذن من ظهور حركة الإمام المهدي عليه السلام بهذه الكيفية حيث تبدأ دعوة الإمام وحركته بالظهور شيئاً فشيئاً وتبدأ بالانتشار والاتساع وتأخذ صداها بين الناس حتى يظهر ذكر الإمام عليه السلام على أفواه المحقين والمبطلين.

انصار الصدر وانصار القائم عليه السلام

بعد أن ظهر الشهيد الصدر من جديد وطرح نفسه كمرجع وقائد للمسلمين بدأت مرجعيته بالانتشار والاتّساع شيئاً فشيئاً وقد بدأ هذا الانتشار بين أوساط الشباب من المؤمنين حتى راح الشباب يقلدون

---

(١) كمال الدين تمام النعمة ص٣٦١.

السيد حيث وجدوا في شخصه (قدس سره) المثال الحقيقي للقائد الثائر على وضع مأساوي استمر لعقود طويلة من الرقابة.

والانطلاق في وسط معين لا يكاد يتعدى المدارس الدينية والمساجد التي يرتادها طلبة العلوم الدينية لأخذ الدروس الحوزوية فيها، لقد أحدث السيد الشهيد (قدس سره) ثورة فكرية ونهضة توعوية فظهرت المرجعية الدينية على يدي السيد بحلة جديدة زاهية تعكس للآخرين الدور القيادي والسياسي لها فضلاً عن كونها مرجعية فقهية يرجع إليها الناس في أحكام دينهم من حلال وحرام وغيرهما.

لقد تفاعل الشباب مع هذه المرجعية الجديدة والقيادة الثورية التي عبرت وتحدثت عن ما تنطوي عليه قلوب أولئك الشباب التي هي عبارة عن براكين من الحمم تريد من يفجرها، لقد توافقت أفكار هؤلاء الشباب وتطلعاتهم مع خطى السيد الشهيد (قدس سره) التي سار عليها، ومع النهج الذي اتخذه وراح يعمل على أساسه.

بدأ أنصار السيد يكثرون يوماً بعد آخر لقد كان لحركة السيد الشهيد (قدس سره) الأثر الكبير في تغيير الكثير من المفاهيم وكشفت زيف الكثير من الادعاءات والأقنعة ورفعت من النفوس تلك القدسية التي لا واقع لها ولا أساس، وكذلك كان لها الأثر البالغ في تغيير المجتمع وبالأخص الشباب الذين لم يجدوا في الواقع من يحمل آلامهم ويشعر بمعاناتهم، ويعبر عما في ضمائرهم، وعما انطوت عليه سرائرهم فكان سبباً في ابتعادهم عن الدين والمتدينين الذين كانوا منغلقين على أنفسهم كأن الدين لهم وحدهم لا يشاركهم فيه غيرهم لقد وجد أولئك ضالتهم في شخص السيد وفكره فبدؤوا بالالتحاق به والالتفاف حوله حيث وجدوا فيه الأب الروحي الذي يحمل كل ما يقع على أبناءه ويصيبهم.

فكان السيد الشهيد ذلك القائد الذي يحمل على عاتقه كل طموح

الشباب وتطلعاتهم لقد كان أغلبية أنصار الشهيد الصدر من الشباب وكان القلة من أنصاره من باقي الفئات العمرية وهذا بعينه يكون مع القائم عليه السلام حيث يكون أكثر أصحابه وأنصاره من الشباب الذين يمتلكون تلك الروح الثورية التي تسعى دائماً من أجل التغيير وقلب الواقع المريض الذي تعاني منه أكثر الأديان، لقد ذكرت الروايات الواردة عن أئمة الهدى (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ذلك.

فقد جاء في الرواية الواردة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **(إن أصحاب القائم شباب لا كهول فيهم إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد وأقل الزاد الملح)**[1].

فمن هذه الرواية الشريفة يظهر لنا واضحاً إن الأعم الأغلب من أصحاب القائم عليه السلام هم من الشباب ما عدا قلة قليلة يكونون كهولاً، وهذا المعنى يظهر أيضاً في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: **(بينا شباب الشيعة على ظهور سطوحهم نيام إذ توافوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد فيصبحون بمكة)**[2].

إن نقطة الشبه هذه لا يمكن لأحد أن ينكرها فإن جميع من شهد ظهور مرجعية السيد الشهيد (قدس سره) وحركته المباركة رأى بأم عينه كيف أن الأعم الأغلب من أنصار السيد الشهيد (قدس سره) كانوا من الشباب والقليل منهم كانوا كهول، وقد بينت لنا الروايات المعصومية الشريفة إن أصحاب القائم عليه السلام وأنصاره هم من الشباب وان القليل منهم كانوا كهول وهذه نقطة أخرى من نقاط التشابه بين الحركتين.

---

(١) غيبة النعماني ص٣١٦.

(٢) غيبة النعماني ص٣١٦.

شاب وهو شيخ

كان سماحة السيد الشهيد محمد صادق الصدر (أعلى الله مقامه) يحمل روحية الشباب وشجاعتهم واندفاعهم ونشاطهم وحبهم للتغير والإتيان بكل ما هو جديد ومفيد وهذا ما يشهد به العدو قبل الصديق حتى عابوا على السيد (رحمة الله عليه) ذلك، فقالوا عنه إن وكلائه كلهم شباب وأن أتباعه ومقلديه أكثرهم شباب وأنه لا يزوره إلا الشباب وما إلى ذلك من الأقاويل والافتراءات التي يراد منها الحط من قدر السيد ومهابته في نفوس الناس.

في الواقع إن السيد (قدس سره) كان يجالس الشباب ويستمع لهم ويتحدث معهم يستمع إلى همومهم ومشاكلهم، ويحاول حلها لهم كان يجلس معهم كأنه أحدهم فلم يكن الفارق في العمر عائقاً في طريقه لأنه في الحقيقة كان شاباً ولكنه بصورة شيخ كبير كان السيد (قدس سره) يعتمد على الشباب لأنهم يحملون روح الثورة والتغير فقد أراد السيد الشهيد أن يصنع من أولئك الشباب قاعدة للتغير والتجديد والنهضة الفكرية والعقائدية التي كان السيد يسعى لإيجادها، كما أن الشهيد الصدر (قدس سره) كان يدرك أن الشباب هم أداة التغيير المعول عليها في صلاح المجتمع المسلم.

كان الشهيد الصدر شاباً في روحه وفي بدنه وفي نفسه وهذه الخصلة والصفة موجودة في القائم عليه السلام كما دلت على ذلك الأخبار المروية عن الأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

* حيث إن القائم يخرج حينما يخرج في صورة شاب موفق كما جاء في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (**لو قد قام القائم عليه السلام لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً**)[1].

---

(١) غيبة النعماني ص٢١١.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: (**وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً**)[١].

وعنه عليه السلام أنه قال: (..... **ويظهر وهو شاب، قال المفضل: يا سيدي يعود شاباً أو يظهر في شيبته؟ فقال عليه السلام: سبحان الله وهل يعرف ذلك؟ يظهر كيف شاء وبأي صورة شاء إذا جاءه الأمر من الله تعالى مجده وجل ذكره**)[٢].

فمن هذه الرواية المعصومية الشريفة يتبين لنا واضحاً أن القائم عليه السلام يظهر بصورة شاب موفق والناس يحسبونه شيخاً كبيراً وهذا ما كانت تراه الناس في شخص الشهيد الصدر (قدس سره) حيث كانوا يرونه شيخاً كبيراً ولكنه في الواقع كان شاباً يحمل روح الشباب بين جنبيه، كان نشيطاً في عمله كالشاب، وكانت روح التغيير والتجديد فيه كأنه شاب طموح يريد الثورة على واقعه المريض. وهذه النقطة في الواقع نقطة أخرى من نقاط الشبه بين حركة السيد الشهيد الصدر (قدس سره) وبين حركة الإمام المهدي عليه السلام وبالأخص في شخص السيد وشخص القائم عليه السلام وهذا في الواقع يثبت لنا أن حركة السيد (رحمة الله عليه) مثالاً أراد المولى تبارك وتعالى لفت نظر الناس الذين يؤمنون بظهور الإمام المهدي عليه السلام إليه لكي يحصلوا على المعرفة المطلوبة في تلك القضية الكونية.

هدم المراقد والأبنية

بعد أن كثر أتباع السيد ومقلديه وأنصاره وأخذت مرجعيته بالاتساع والانتشار قام بأعمال كثيرة ومختلفة ومهمة من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ما فسد من أمر الأمة حيث قام ومن باب

(١) غيبة النعمان ص١٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج٥٣، ص٧.

النهي عن المنكر وإماتة البدعة بهدم بعض المراقد التي تنتسب لبعض السادة العلويين والمغتسلات التي غسل فيها سادة كانوا معروفين في مناطقهم، وكان هدم السيد لهذه المراقد والأبنية هدماً معنوياً فلو كان السيد مبسوط اليد لقام بهدم الكثير من المراقد المبتدعة لأنها في الواقع مبتدعه وليس لها صحة أو واقع.

فقد أشار السيد الشهيد (قدس سره) إلى أصحاب تلك المراقد وقال إنهم لا يرجعون إلى الأئمة وعليه فإن على المؤمنين أن لا يزوروا تلك المراقد وعلى الأقل إنه غير ثابت انتسابهم لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) كما أنه (قدس سره) نهى عن زيارة المغتسلات التي يقوم بها العامة من الناس حيث يذهبون إلى تلك المغتسلات ليتبركون بها ويقدمون النذور لها، وقد استغلت عوائل أولئك السادة الذين ماتوا فقاموا ببناء تلك المغتسلات فأرادوا من ورائها الانتفاع والكسب المادي مستغلين جهل الناس، وقد عارض الكثير من الناس هذا العمل الذي قام به السيد من دون حجة لهم في ذلك.

وهذا العمل سوف يقوم به القائم عليه السلام حيث يهدم بعض المساجد والمنائر كما جاء في الأخبار والروايات الواردة عن الأوصياء الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فقد جاء في الرواية الواردة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه.........**)[1].

وعن أبي بصير أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (**إن القائم إذا قام رد البيت الحرام إلى أساسه ومسجد الرسول إلى أساسه ومسجد**

(١) الوافي ج٢، ص١١٣.

الكوفة إلى أساسه، وقال أبو بصير: إلى موضع التمارين من المسجد)[١].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال : **(القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساس، ومسجد الرسول** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وأقامه على أساسه، وقطع أيدي بني شيبة السراق وعلقها على الكعبة)**[٢].

وعن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام: **(قال المفضل: يا سيدي فما يصنع بالبيت؟ قال: ينقضه فلا يدع منه إلا القواعد التي هي أول بيت وضع للناس ببكة في عهد آدم عليه السلام والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام منها والذي بني بعدهم لم يبنه نبي ولا وصي ثم يبنيه كما يشاء الله وليصفين آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم وليهد من مسجد الكوفة وليبنيه على بنيانه الأول وليهدمن القصر العتيق ملعون ملعون من بناه)**[٣].

وعن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: **(إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلا هدمها وجعلها جماء، موسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج في الطريق وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات ولا يترك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها .....)**[٤].

وعن داود بن قاسم الجعفري قال كنت عند أبي محمد (يعني

---

(١) الكافي ج٤، ص٥٤٣.
(٢) غيبة الطوسي ص٢٨٢.
(٣) بحار الأنوار ج٥٣، ص١١.
(٤) الإرشاد ص٣٦٥.

العسكري) عليه السلام فقال: **(إذا قام القائم يهدم المنار والمقاصير التي في المساجد فقلت في نفسي: لأي معنى هذا؟ فأقبل علي، فقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنيها نبي ولا حجة)**[1].

وبهذا يظهر لنا واضحاً الشبه بين فعل الشهيد الصدر وبين فعل القائم عليه السلام والحقيقة أنني كلما قرأت هذه الرواية الواردة عن العترة الطاهرة (سلام الله عليهم) أتسأل لماذا إذن نبني المساجد بهذه الطريقة المبتدعة التي لا ترضي الله عز وجل ولا رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) ولا الأئمة عليهم السلام ونحن نعلم أن الإمام المهدي عليه السلام سوف يهدمها ولماذا نصرف الأموال الطائلة في رفع المنارات وبناءها والإمام لا يرضى بذلك وسيقوم بهدمها؟!!.

الغربلة والتمحيص

على امتداد الزمن واختلاف الظروف تظهر الكثير من الدعوات والحركات بين الحين والآخر ولكن الأعم الأغلب تكون تلك الدعوات والحركات مدعومة بشتى أنواع الدعم، فإن الكثير من المرجعيات قامت على أساس قد عد ووضع لها قبل ظهورها.

ولكن تظهر بعض المرجعيات أو الحركات والتي تكون نادرة جداً ويبدأ أمرها اعتماداً على نفسها من دون أي نوع من أنواع الدعم المادي أو المعنوي.

لقد ابتدأ الشهيد الصدر (قدس سره) حركته ومرجعيته هكذا فلم يمهد له أحد المراجع السابقين أو يدعمه، لا مال تقوم عليه تلك المرجعية الفتية ولا أنصار إلا قلة من الشباب وهكذا بدأ الصراع بين أن أكون أو

---

(١) غيبة النعماني ص١٢٣.

لا أكون، لقد كان السيد الشهيد (قدس سره) مؤمناً بتلك المقولة التي كان يرددها دائماً (ما كان لله ينمو) وفعلاً حصل ذلك فبعد سنوات من الصراع وفي ظل تلك الظروف الصعبة التي وقفت بوجه ذلك الرجل الذي طرح نفسه قائداً جديداً للمجتمع وحاولت ثنيه عن تلك المهمة وذلك الهدف الذي كانت تسعى لأجل تحقيقه الكثير من القوى.

لقد كانت مهمة السيد صعبة جداً وكذلك مهمة أنصاره أيضاً، حيث مروا بصعوبات كثيرة وكبيرة فقد واجهوا المجتمع الذي كان رافضاً لهم ولفكرهم وميولهم، بل كان في بعض الأحيان متهماً لهم وفي أحيان أخرى حاكماً عليهم فقد كان المجتمع يصف أنصار الشهيد الصدر (قدس سره)... بالمنحرفين... والضالين... وما إلى ذلك من التسميات والاتهامات التي لا تمت إلى الحق بصلة لقد كانت هذه المرحلة هي نوع من أنواع الغربلة والتمحيص، فمن كان مؤمناً حقاً بفكر السيد الشهيد الصدر وقيادته وأحقيته استمر ولم تثنيه تلك الاتهامات والمصادمات، ومن كان متأرجحاً ومشككاً فإنه وقع في المراحل الأولى من سير تلك الحركة وانحرف عنها إلى طريق آخر، وهكذا استمر الحال بأنصار السيد الشهيد فكلما ازدادت حركة السيد انتشاراً واتّساعاً ازدادت المصاعب والمتاعب وازداد التمحيص بين صفوف الأنصار.

ثم إن السيد وفوق كل ذلك لم يترك أنصاره على هذا الحال فقد كان يأمرهم ببعض التكاليف والأفعال من قبيل إقامة النوافل وبالأخص صلاة الليل وكان يأمرهم بالسير مشياً على الأقدام لزيارة المولى أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والجلوس تحت أشعة الشمس عند إقامة صلاة الجمعة وكان يأمرهم بالتأسي بالحسين (عليه السلام) الذي بقي جسده تحت حرارة الشمس لمدة ثلاثة أيام حسب تعبير السيد (قدس سره) وكان يدعوا أنصاره دائماً إلى قول الحق والعمل به مهما كان الحال والصدق في كل الأحوال.

لقد قام السيد بغربلة أصحابة وتمحيصهم وتمييزهم وهذا العمل بعينه سيكون مع أنصار القائم وأصحابه كما دلت على ذلك الأحاديث والروايات.

* فقد جاء في الرواية الواردة عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (**ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب. قلت: جعلت فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال: شيء يسير. فقلت: والله من يصف هذا الأمر منهم لكثير فقال: لا بدّ للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا، وخرج من الغربال خلق كثير**)[1].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: (**والله لتميزن، والله لتمحصن والله لتغربلن كما يغربل الزؤان من القمح**)[2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (**هيهات هيهات لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، هيهات ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا..**)[3].

وبهذا يتبين لنا واضحاً أن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره لا يوفقون لصحبته ونصرته إلا بعد غربلة وتمحيص وتمييز حيث لا يبقى إلا من كتب الله له النصرة ولن تنتهي غربلتهم وتمحيصهم بل تبقى مستمرة حتى بعد قيام الإمام المهدي عليه السلام، وهذا ما أكدته الروايات وهذا هو دين الله الحق فهم في امتحان واختبار دوماً وكل ذلك من أجل تصفيتهم وتنقيتهم وتزكيتهم. وهذا شبه آخر بين حركة السيد الشهيد كما هو واضح وبين حركة القائم عليه السلام.

---

(١) غيبة النعماني ص٢١٢.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢، ص١١٤.

(٣) غيبة النعماني ص٢١٧.

الشدة في الحق

برغم سماحته وعلو أخلاقه ورقة قلبه وحنانه الأبوي وتألمه على البعيدين عنه قبل القريبين إليه، إن السيد الشهيد كان شديداً في الحق فقد كان شديداً مع أقرب الناس إليه كان شديداً مع وكلائه وطلابه وأنصاره أيضاً إذ كان شديداً في قول الحق مع أعدائه لا يخشى أي كان سواء كان حاكماً أو مسؤولاً أو عالماً أو شيخ عشيرة أو غيرهم.

كان لا يخشى في الله ﷻ لومة لائم كان يقول الحق مهماً كان وأيًّا كان وهذا مما عرف عنه (قدس سره) فقد كان يهتف من على منبر الكوفة المقدسة (كلا كلا إسرائيل) وأصبحت هذه الصرخة المدوية لسماحة السيد (قدس سره) شعاراً لأنصاره ومقلديه يرددونه متى ما اجتمعوا، ولم يقف عند هذا الحدّ فقط بل تعداه إلى ما أكثر منه خطورة حيث كان يندد دائماً بحكومة الطاغية صدام (لعنه الله) ولطالما فضحهم وكشف أساليبهم الخبيثة حتى كلفه ذلك دمه الشريف ودماء ولديه الشهيدين اللذين قدمهما قربان في سبيل الحق والدين.

كان السيد (رحمة الله عليه) يؤمن بأن أعظم الجهاد وهو (كلمة حق عند سلطان جائر) لذلك فإنه لم يتوانى في قول الحق وكشف الباطل ومحاربته وزاد السيد على ذلك بمحاربته لحكام العرب وتنديده بهم، حيث وصفهم في مرات عديدة بأنهم عملاء لأمريكا وإسرائيل وما إلى ذلك.

ولم يكتفي بهذا القدر بل كشف زيف الكثير من المرجعيات وأثبت عدم أحقيتها وانحراف سيرتهم فقد أزال السيد الشهيد الصدر (قدس سره) القدسية التي أحيط بها بعض مراجع التقليد والتي لم يكن لها واقع بل جاءت نتيجة خداعهم للناس البسطاء.

* لقد ذكرت لنا الكثير من الأحاديث والروايات المعصومية الشريفة أن القائم عليه السلام يكون شديداً مع أصحابه وأنصاره وشديداً على أعدائه فقد جاء في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **(بينما الرجل على رأس القائم يأمر وينهى إذ أمر بضرب عنقه فلا يبقى بين الخافقين شيء إلا خافه)**[(١)].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: **(لو قد قام قائمنا بدأ بالذين ينتحلون حبنا فيضرب أعناقهم)**[(٢)].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **(لا بد لنا ـ إلى أن قال ـ لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد .....)**[(٣)].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: **(لو قد خرج قائم آل محمد عليه السلام ـ إلى أن قال ـ يقوم بأمر جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلا السيف ولا يستتيب أحداً ولا تأخذه في الله لومة لائم)**[(٤)].

وهذه نقطة أخرى تضاف إلى نقاط الشبه بين حركة السيد الشهيد (قدس سره) وبين حركة القائم عليه السلام.

إحياء السنن

قام السيد الشهيد الصدر (قدس سره) من بين كل العلماء والمراجع في العراق ولأجيال متعاقبة بإقامة صلاة الجمعة المقدسة التي أحياها بعد أن

---

(١) غيبة النعماني ص٢٤٠.
(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج٢، ص٢٠٤.
(٣) غيبة النعماني ص١٠٢.
(٤) بحار الأنوار ج٥٢، ص٣٥٤.

كانت مهملة حتى في قراءتها في الكتب الفقهية أحيا الشهيد الصدر (أعلى الله مقامه) هذه الفريضة المهمة التي ظلت معطلة طويلاً رغم أهميتها في الواقع الإسلامي.

ولقد تحمل السيد الشهيد رحمه الله في سبيل إحياء تلك الفريضة الكثير فقد وجهت إليه شتى الاتهامات، ولكن ذلك لم يثنيه عن تحقيق ما سعى إليه وإقامة تلك الفريضة العبادية السياسية التي استطاع السيد من خلالها ربط الناس والمجتمع بقيادته وجعل من منبرها منبراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح ومحاربة الظلم والظالمين ومواجهة الطغاة والمتجبرين، وقد اتخذ من مسجد الكوفة المعظم محلاً لإقامة تلك الفريضة المباركة التي انتفع بها المؤمنون أيما منفعة.

لقد كان للسيد الشهيد ولصلاة الجمعة السبب في تغيير المجتمع وتحوله من حالة ضياع وانحراف إلى حالة من الوعي الديني والهداية فقد تحولت مدن كاملة في ليلة وضحاها من حال إلى حال ومن وضع كان في الواقع والحسابات يصعب معه تصديق أو قبول فكرة التحول تلك والانتقالة السريعة ما لم نكن عشناها ولمسناها وشاهدناها بأم أعيننا.

إن التحول الذي نتحدث عنه والذي لمسه الجميع خاصة أولئك الذين كانوا يقطنون في تلك المدن التي كان ينظر لها رجال الدين فضلا عن غيرهم نظرة يأس وكان ذلك نتيجة ما يشاهدونه من أفعال بعيدة عن الدين الإسلامي الحنيف والمذهب الشيعي.

استطيع القول إن التحول الذي حصل في تلك المدن هو كتحويل اسم مدينة الصدر من الاسم الذي أطلق عليها سابقاً (مدينة صدام) إلى مدينة الصدر وشتان ما بين الاثنين هكذا في الحقيقة كان التحول الذي أحدثه سماحة السيد الشهيد (قدس سره) وراح أهالي تلك المدن وغيرها يؤمنون بمرجعية السيد الشهيد ويدخلون في حركته جماعات جماعات.

حتى راحت تلك الجماهير الفتية في إيمانها التي حملت على عاتقها تلك القضية والحركة التوعوية لسماحة السيد (قدس سره) تأتي في أيام الجمع عند الصباح الباكر لمسجد الكوفة المعظم لأجل الحصول على مكان قريب يستطيعون من خلاله رؤية وجه السيد الشهيد الذي كان يبعث في نفوس الرائين له القوة والإيمان ويبعث على الراحة والاطمئنان.

ولكن سرعان ما تبددت تلك الأمنيات الجميلة عندما يصلون إلى المسجد ويجدون أنه قد امتلأ من المصلين فيضطرون إلى الصلاة في الشوارع والساحات المحيطة بالمسجد فقد كان المسجد لا يسع المصلين لكثرتهم.

* وهذا ما سوف يقع بعينه مع الإمام المهدي عليه السلام فقد ذكرت لنا الروايات الشريفة الواردة عن آبائهم الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إن الإمام المهدي عليه السلام حينما يدخل الكوفة يقيم صلاة الجمعة في الأسبوع الأول من دخوله الكوفة فيصلي بالناس ويحيي تلك الفريضة المعطلة من جديد ولكن الناس سوف لن تجد مكاناً لتصلي فيه حيث إن مسجد الكوفة لا يسع المصلين آنذاك فيأمر عندها الإمام عليه السلام بأن يبني مسجد له ألف باب يتسع للمصلين من كل أنحاء العالم ويبدأ هو وبيده الشريفة فيختط لهم مسجداً وهذا ما جاء في الرواية الشريفة الواردة عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **(إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها ـ إلى أن قال ـ ويبني في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء...)**[(١)].

إن الذي يظهر من الروايات الشريفة أن هذا المسجد على سعته فإنه لا يسع الناس أيضاً فيضطر عندها الإمام عليه السلام لأن يبني مسجداً آخر في

(١) غيبة الطوسي ص٢٨٠.

الحيرة يكون له خمسمائة باب ويجعل فيه خليفة له ليصلي بالناس وهذا ما جاء في الرواية الواردة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث خرج إلى الحيرة فقال: **(لتصلن هذه بهذه وأومى بيده إلى الكوفة والحيرة ـ حتى يباع الذراع فيما بينها بدينار وليبنين بالحيرة مسجداً له خمسمائة باب يصلي فيه خليفة القائم عجل الله فرجه لأن مسجد الكوفة ليضيق عنهم....)**[1].

وهذه في الواقع نقطة أخرى من نقاط الشبه ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ فإن صلاة الجمعة لها علاقة وطيدة بالإمام المهدي عليه السلام فإن معنى الصلاة هي الصلة مع الإمام المهدي عليه السلام فلا قبول لصلاتنا إذا لم تكن لنا بالإمام صلة تربطنا به.

وأما بالنسبة إلى الجمعة فهو اليوم الذي يقوم فيه الإمام عليه السلام وهو يوم الذي يجتمع فيه أصحاب الإمام المهدي عليه السلام.

لقد نادى السيد الشهيد (أعلى الله مقامه) لإقامة صلاة الجمعة وقد تم ذلك وهذا هو الشيء الظاهر الذي أراده سماحة السيد ولكن الشيء الباطني والحقيقي الذي كان السيد يسعى لها هو تأسيس قاعدة جماهيرية للإمام المهدي عليه السلام وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ وهذا هو المعنى الظاهري للآية الشريفة لكن معنى الآية الباطني وتأويلها هو النداء لنصرة الإمام المهدي عليه السلام والاتصال به في يوم قيامه المقدس يوم الجمعة فانظر عزيزي القارئ للتسديد الإلهي الذي كان يرافق سماحة السيد الشهيد (قدس سره).

فقه الفضاء وغزو الفضاء

كان السيد الشهيد أول من كتب عن فقه الفضاء من العلماء

---

(١) التهذيب ج٣، ص٢٥٣.

المتأخرين ولم يسبقه إلى ذلك أحد من العلماء أو الباحثين وقد ألف في ذلك كتاباً اسماه فقه الفضاء، وقد تناول في هذا الكتاب مسائل مهمة ومعقدة غاية في الدقة والتحليل، وتحدث فيه عن عدة مواضيع تعتبر من المواضيع الأساسية في علم الفقه.

إن هذا البحث في الواقع يدل على سعة أفق الشهيد الصدر (قدس سره) وغزارة علمه وقد قام السيد الشهيد (قدس سره) في هذا الكتاب بالربط بين علم الفقه والعلم الحديث بأسلوب يدل على قوة الثقافة العامة لدى سماحة السيد الشهيد، كما إن هذا البحث (فقه الفضاء) يثبت لنا أن الدين الإسلامي هو دين كوني وليس خاصاً بالأرض فقط.

كما أن هذا الكتاب يعتبر قفزة نوعية في المسائل المستحدثة فقد كتب العلماء المعاصرين عن تلك المسائل لكن لم يتطرق أحد منهم إلى ذكر هذا الموضوع المهم والحساس وتبقى الإشارة التي تركها السيد الشهيد في هذا الكتاب القيم هي أهم ما فيه بحسب رأيي، فقد حاول سماحة السيد الشهيد لفت أنظار الناس إلى شيء هو في غاية الأهمية يتعلق بأمر غيبي ومستقبلي وهو غزو الإمام المهدي عليه السلام للفضاء، حيث يستشف ذلك من كلامه في النقطة الخامسة من المقدمة والتي قال فيها:

(إن بعض مسائل هذا الفقه وإن لم تكن (عملية) خلال العصر الحاضر لعدم وصول المستوى الصناعي إلى هذا الحدّ كسكن البشرية في جرم خارج المجموعة الشمسية. أو اللقاء المباشر من المخلوقات أو السكان الأصليين لأي جرم سماوي. إلاّ أن كثيراً من فروعه هي محل ابتلاء فعلاً. يعني كونها تطبيقات معاشة. ويحمل همها عدد من المسلمين لا يستهان به. مضافاً إلى إمكان تحقق بعض الفروع الأخرى في القريب العاجل نسبياً من الدهر. من يدري؟) انتهى كلام السيد .

وبالنظر إلى العبارة الأخيرة من كلام السيد (قدس سره) نرى الإشارة

واضحة منه (قدس سره) حول قضية الإمام المهدي عليه السلام وغزوه للفضاء في القريب العاجل على حدّ تعبير السيد الشهيد.

* لقد ذكر لنا أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كما جاء في رواياتهم الشريفة أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بغزو الفضاء وينشر الدين الإسلامي هناك ويتصدى للكثير من المخلوقات الفضائية التي تحاول الاعتداء على أهل الأرض وقد يستغرب البعض من هذا الكلام ويتساءل هل أن هناك خلق غيرنا في المجرة يا ترى؟ حتى نتكلم عن غزو الإمام المهدي عليه السلام للفضاء.

والصحيح أنه قد دلت الأخبار المروية عن أئمة الهدى عليهم السلام على وجود خلقاً غيرنا فقد جاء في الرواية الشريفة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (**هذه النجوم التي في السماء فهي مدائن مثل المدائن التي في الأرض**)[1].

وجاء في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) في معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: - (**وفي كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم**)[2].

وعن ابن عباس قال: (**سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم**)[3].

وبهذا يتبين لنا أمرين مهمين هما:

الأمر الأول: وجود مخلوقات فضائية وعوالم غير هذا العالم الذي نعيش فيه.

---

(١) بحار الأنوار ج٥٥، ص٩١.

(٢) زاد المسير ج٨، ص٤٧.

(٣) بحار الأنوار ج٥٧، ص٩٢.

الأمر الثاني: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وأهل بيته عليهم السلام قد سبقوا غيرهم في اكتشاف وجود مخلوقات في الفضاء وعوالم غير عالمنا هذا.

والواقع وحسب علمي أن تلك العوالم لم يصل لها الدين الإسلامي بعد وسوف يكون ذلك على يد الإمام المهدي عليه السلام كما جاء في الرواية الشريفة الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام: **(ذخر لصاحبكم الصعب، قال: قلت وما الصعب؟ قال: من سحاب فيه رعد وبرق وصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خرابان)**[1].

فالذي يظهر من هذه الرواية عدة أمور:

الأمر الأول: إن الإمام المهدي عليه السلام يستخدم مركبات فضائية متطورة جداً عبر عنها في الرواية بالصعب أو السحاب وكان ذلك مما يلائم فهم الناس آنذاك.

الأمر الثاني: وجود عوامر غير الأرض أي إن فيها حياة وخلق واثنان خراب.

الأمر الثالث: إن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بغزو تلك العوامر كما يظهر من الرواية ولا يكون ذلك حتماً إلا لحكمة وفائدة يريدها الإمام عليه السلام هي نشر الدين الإسلامي في تلك العوالم والله العالم.

وبهذا تنكشف لنا نقطة مهمة أخرى من نقاط الشبه بين حركة السيد الشهيد وبين حركة الإمام المهدي عليه السلام.

تكذيبه ورد دعوته

يقول علم الفيزياء أن لكل قوة فعل قوة أخرى تسمى قوة رد الفعل

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٢٩.

تساوي قوة الفعل في المقدار وتعاكسها في الاتجاه ولكن هذا القانون لم يسر في دعوة الشهيد الصدر (قدس سره) كاملاً فقد جوبهت دعوة السيد الشهيد وحركته باتجاه معاكس لها تماماً اتخذ من العداء للسيد الشهيد وحركته المباركة أسلوباً يسير عليه أصحاب ذلك الاتجاه إلا أنه لم يكن مساوياً لقوة الفعل الناتجة عن حركة السيد (قدس سره)، فقد كان التيار المعاكس الذي واجه حركة السيد الشهيد (قدس سره) يفوق من حيث القوة حركة السيد الإصلاحية الجديدة فقد كانوا أكثر أموالاً وأنصاراً وعدة وعدداً ونفوذاً في المجتمع فما أن انتشرت حركة السيد الشهيد في المجتمع وأخذ نفوذ السيد (أعلى الله مقامه) يزداد يوماً بعد يوم والأنصار تقبل من كل حدب وصوب مؤمنة بهذا الفكر الجديد وتلك الحركة الإصلاحية التي أحدثت انقلاب على المستويين النظري والعلمي حتى بدأ أهل ذلك الاتجاه يكشرون عن أنيابهم التي كانت تقطر سماً وبدأ العداء يبرز شيئاً فشيئاً حتى اتّسع وكبر وراح أصحاب ذلك الاتجاه يتطاولون على شخص الشهيد الصدر (قدس سره) لقد أساؤوا إلى سماحة الشهيد الصدر (قدس سره) كثيراً.

لقد قام السيد الشهيد (قدس سره) بكشف بعض الحقائق، لكن مناوئيه وللأسف الشديد ردوا قوله ولم يقبلوا منه بل اتهموه بالكذب (حاشاه من ذلك) كما أنهم وقفوا بوجه دعوة السيد وحركته وحاولوا تثبيط الناس عن الالتحاق بمرجعيته من خلال اتهامهم لسماحة السيد باتهامات عديدة ما أنزل الله بها من سلطان.

إن هذا الأمر مما لا يخفى على الناس فقد عاشوا كل هذه الأحداث وسمعوا بها ورأوها فلا يستطيع أحد أن ينكر ذلك أو يحاول إخفاءه مطلقاً.

إن جراحات السيد الشهيد (قدس سره) لا يستطيع كل شريف وحر أن

ينساها ليست لأنها وجهت لشخص السيد بل لأن الذي أصيب بها حسب اعتقادي هو الإمام المهدي عليه السلام لأن الإمام عليه السلام هو من وراء كل إنسان صالح أو عالم عامل مخلص حتماً.

* إن ما جوبه به السيد الشهيد (رضوان الله عليه) سيواجه به الإمام المهدي عليه السلام حيث سيقومون بتكذيب دعوته وممهديه وأنصاره فلا يقبلون بتلك الدعوة التي تقوم بأمر الله عز وجل وأمر الإمام المهدي عليه السلام بل إنهم سيواجهون تلك الدعوة باللعن والتكذيب وهذا ما دلت عليه الروايات المعصومية الشريفة.

فقد جاء في الرواية الواردة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ذكر فيه القائم عليه السلام فقال: **(فإذا هو قام نشرها فلم يبق في المشرق والمغرب أحد إلا لعنها)**[1].

وعن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **(إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل الشرق وأهل الغرب، أتدري لم ذلك؟ قلت: لا، قال: للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه)**[2].

والواقع أن المقصود بالراية التي تلعن من قبل أغلب الناس هي دعوة الإمام المهدي عليه السلام وهذا المعنى قد ذهب إليه السيد الشهيد الصدر (قدس سره) في كتابه موسوعة الإمام المهدي في الجزء الثالث منه حيث قال: (والمقصود من (راية الحق): دعوة المهدي عليه السلام العامة المتمثلة بالأطروحة العادلة الكاملة، ونشرها أو رفعها: إعلانها في العالم كما أن المقصود من لعنها الغضب عليها والاشمئزاز منها..).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **(إن القائم يلقى في حربه ما لم**

---

(١) غيبة النعماني ص٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢، ص٣٦٣.

يلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **لأن رسول الله أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشب المنحوتة وأن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه)**[١].

إن الذي يظهر من هذه الرواية الشريفة أن المهدي عليه السلام يلاقي أشدّ وأكثر مما لاقى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وأن مما لاقاه الرسول أنه اتهم بالكذب وقد ردوا دعوته ولم يقبلوها.

فلا بد إذن أن يواجه القائم بمثل ذلك ولا بدّ أن يكذب من قبل الآخرين ولا بدّ أن ترد دعوته ولا يقبلها الناس وهذه النقطة في الواقع جرت مع سماحة السيد الشهيد (قدس سره) وقد رأيناها بأعيننا، وهذه تجربة ودرس لنا نستفيده عسى أن لا نقع بمثل ما وقع فيه الذين واجهوا السيد وردوا دعوته إذا ما سمعنا بظهور دعوة الإمام المهدي عليه السلام التي سوف تحارب وتكذب من قبل أغلب الناس خاصتهم وعامتهم.

الإصلاح ... الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كانت حركة السيد الشهيد في واقعها حركة إصلاحية حاول فيها السيد ومنذ البداية تغيير واقع المجتمع المتردي والذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة لولا ظهور السيد وحركته على الساحة التي أعادت التوازن من جديد ولكن بالتدريج.

فبعد سنوات من الظلم والجور التي عاشها المجتمع العراقي تحت وطأة نظام الطاغية صدام الذي جعل المساجد فارغة إلا من قبل بعض الشيوخ المسنين والذين لا يتجاوزون أصابع اليد في المسجد الواحد،

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢، ص٣٦٣.

بل إن أكثر الناس آنذاك لا يعلمون من تعاليم دينهم إلا القليل وابتعدوا عن الدين والتدين فكثر الفسق والفساد والانحراف في المجتمع.

ولم يكن للحوزة العلمية يومها دوراً بارزاً أو مؤثراً ولكن ما إن ظهر السيد على الساحة حتى بدأ الإصلاح يدب في المجتمع العراقي يوماً بعد آخر.

لقد قام السيد الشهيد (قدس سره) بربط الناس بتعاليم الدين وبدأ بمحاولة النزول إلى المجتمع لا صعود المجتمع إلى القادة أو العلماء لأن ذلك في الواقع لم يجد نفعاً فقد كانت الحوزة التقليدية تسير وفق هذا المنطق إلا أنها بقيت وعلى مدى مئات السنين منطوية على نفسها تعيش في عزلة عن المجتمع، والمجتمع لا يعرف منها شيئاً.

لقد أحدث السيد بعمله هذا تغيراً خطيراً وقفزة لم تروق للكثيرين داخل المجتمع الحوزوي بل أثارت سخطهم وبغضهم للسيد (قدس سره) ولكن السيد أثبت للجميع إن ما قام به هو الصحيح وإن ما دونه كان خطأً كبيراً تسبب في ضياع المجتمع والناس وانتشار الفساد والظلم وابتعادهم عن رجل الدين.

لقد نجح السيد بربط الناس بشخص القائد وقد انحنى المجتمع للسيد إجلالاً لما رأوا من حرصه المتواصل على فائدة الناس ومنفعتهم والذي قد يتسبب له في خطر واضح.

لقد أُعجب الجماهير بهذا العالِم الجديد الذي اعتلى منبر الكوفة ذلك المنبر الذي ظل يئن ويبكي منذ إن أصيب أمير المؤمنين عليه السلام حتى خروج حفيد علي عليه السلام (محمد الصدر) الذي راح يجفف دموع ذلك المنبر الشريف، فقد جعل منه منبراً لصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد أعاد السيد الشهيد (قدس سره) إلى الكوفة واقعها الذي عاشته في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام والذي تسعى له في زمن الإمام المهدي عليه السلام الذي سوف يجعلها عاصمة دولته العالمية ويجعل من مسجدها ملتقى لملايين البشر حيث يقوم بإحياء صلاة الجمعة من جديد ويعتلي منبر الكوفة من جديد فيجعل منه منبراً للإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* حيث سيشهد الزمان الذي تخرج فيه دعوة الإمام المهدي عليه السلام انتشار الظلم والجور والفساد وامتلاء الأرض بهذه الأمور لذا فإن الإمام عليه السلام حينما يخرج سيقوم بإصلاح المجتمع والناس وإنهاء الظلم والفساد وقتل الظالمين والمفسدين في الأرض فيعيد للحياة بهجتها ويقضي على تلك المظاهر التي ترفضها تعاليم الدين الحنيف. ولا يرتضيها الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) والأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)

إن حركة السيد الشهيد في الواقع تحكي لنا عن حركة الإمام المهدي عليه السلام ودعوته وتكشف لنا عن حقيقتها وماهيتها وهذه فائدة عظيمة سنتعرف عليها من خلال تلك الحركة المباركة للسيد الشهيد (رضوان الله عليه) ولقد تحدث لنا السيد الشهيد في كتابه موسوعة الإمام المهدي في الجزء الثالث منه عن تلك الإصلاحات والمنجزات التي يقوم بها الإمام المهدي عليه السلام حيث قال: (وحيث كان وجود الخير والصلاح في البشرية كلها ناتجاً من جهود الإمام المهدي عليه السلام وتعاليمه وقوانينه، كان نسبة مقتل إبليس إليه أمراً صحيحاً. وإنما كان مقتله في مسجد الكوفة ـ على ما نطق به الخبر ـ لأن هذا المسجد بصفته أحد المراكز المهمة في العاصمة العالمية: الكوفة، سيكون هو منطلق تعاليم المهدي عليه السلام ونشر هدايته على العالم).

لاحظ عزيزي القارئ ما يصدر عن الإمام المهدي عليه السلام من إصلاح ويكون منطلق ذلك الإصلاح من مسجد الكوفة كما كان ذلك من قبل السيد الشهيد (قدس سره).

يقال فيه ما قيل في عيسى ابن مريم

بعد أن طرح السيد الشهيد (قدس سره) نفسه كمرجع تقليد وتصدى لإقامة صلاة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف ومن ثم إقامة صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم واصل الحاقدون والمبغضون له عدائهم واتهامهم من دون أي ورع أو خوف من الله عز وجل.

لقد انطلقت تلك الاتهامات وللأسف الشديد من رجال الدين والحوزة العلمية حيث كانت تلك الاتهامات في بداية ظهور السيد الشهيد (أعلى الله مقامه) على الساحة العلمية، لم يكن يعرف آنذاك إلا من قبل المقربين منه أو من طلبة الحوزة العلمية وأشرافها. لقد افتروا على السيد الشهيد واتهموه بتهمة شنيعة ليس لها واقع إلا في نفوسهم المريضة المنحرفة التي سولت لهم ذلك فخالفوا بذلك ما كانوا يقولونه، فأصبحوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

حقاً فهم من يدعون معرفتهم بالكتاب والسنة والأحكام الشرعية لكنهم في الواقع يأمرون الناس بالامتثال لتلك الأحكام والعمل وفق الكتاب والسنة ولكنهم وللأسف لا يمتثلون لتلك الأحكام ولا يعملون بها، فقد اتهموا سماحة السيد الشهيد (قدس سره) بأنه لا تجوز الصلاة خلفه لأنه (ابن.....) حاشاه من ذلك ولعنة الله على القوم الظالمين الذين افتروا كذباً وباطلاً، ولما كثر النقاش في هذه التهمة وسألوا عن هذه التهمة ومن أين عرفوا ذلك؟ قالوا وبكل وقاحة وبما لا يمت إلى العقل والدين

أو الأخلاق بصلة، حيث أجابوا عن ذلك: بأن والد السيد الشهيد كان عقيماً لا يولد له فكيف ولد له هذا المولود الذي ادعى الاجتهاد والمرجعية وغير ذلك.

وتجاهلوا وغضوا الطرف عن فضل الله سبحانه وتعالى ونعمته فقد كذبوا ولادة السيد (قدس سره) وكيف حصل ذلك واستجابة الله سبحانه وتعالى لوالديه دعائهما بعد توسلهما بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) عند قبره الشريف وقد ذكرنا قصة ولادة السيد الشهيد في بداية بحثنا هذا، وملخص القصة إن والدي السيد الشهيد وفي أثناء الحج توجها لزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وهناك توسلوا إلى الله بنبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وطلبوا منه تعالى أن يرزقهم ولد ويسمونه محمد وفعلًا استجاب الله ﷻ لهم دعائهم ورزقهم مولود ببركة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وكانت ولادته في يوم مولد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) في ١٧ ربيع الأول.

فماذا نقول بعد ذلك لأناس يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر والنفاق.

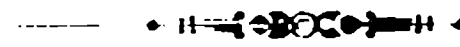
* فتألمنا لذلك كثيراً لكن في الواقع علينا أن لا نتألم ولا نحزن، بل على العكس نزولاً وإيماناً وتعلقاً بهذا الإنسان الطاهر الذي كان حقًّا من المجددين والمحيين للدين، علينا أن لا نحزن لأن ذلك من سنن الأنبياء عليهم السلام فإن من العلامات الدالة على أحقية السيد الشهيد أن يكون مظلوماً كما كان الأنبياء عليهم السلام، فإن الأنبياء قد اتهموا بشتى الاتهامات وأخطرها، فلا بد أن يكون الداعين إلى الله سبحانه وتعالى كذلك أنهم يُتهمون ويكذبون كما جرى ذلك مع الأنبياء.

إن ما اتهم به الشهيد الصدر (قدس سره) أُتهم به نبي الله عيسى ابن مريم وأمه السيدة مريم العذراء عليها السلام حاشاها من ذلك.

وهذا ما سوف يتهموا به القائم عليه السلام كما جاء ذلك في الأخبار والروايات المعصومية الشريفة.

فقد جاء في الرواية الواردة عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول (**في صاحب هذا الأمر سنة من أربع أنبياء: سنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) ـ **إلى أن قال ـ قلت وما سنة عيسى؟ فقال: يقال فيه ما قيل في عيسى....**)[1].

فإن أعداء المهدي عليه السلام سوف يتهمونه بذلك لعنهم الله وأخزاهم ويشككون في نسبه، وهذا الأمر قد وقع بعينه وكما ذكرنا ما حدث مع سماحة السيد الشهيد (أعلى الله مقامه) وهذه نقطة أخرى تضاف إلى نقاط الشبه بين حركة السيد الشهيد ودعوته وبين حركة ودعوة الإمام المهدي عليه السلام.



---

(١) غيبة النعماني ص١٦٨.

الإسلام الجديد

بعد ان ظهر السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) وطرح نفسه كمرجع للمسلمين وبدأت مرجعيته تنتشر شيئاً فشيئاً وأخذت قاعدة أنصاره ومقلديه بالاتّساع، قام السيد الشهيد بطرح بعض الأحكام الجديدة والتي لم يعهدها الناس من قبل، فقد كان الناس معتادون على حكم معين في مسألة ما، وقد كان الحكم واحداً لم يتغير لسنوات طويلة وعبر أجيال مختلفة، ولكن السيد رضوان الله تعالى عليه وحسب ما توصل إليه قام بإصدار أحكام جديدة تختلف عن الأحكام السابقة في تلك المواضيع مما أثار حفيظة أغلب الناس من غير مقلديه، ولم يتقبل الناس هذه الأحكام بل قاموا باتهام السيد الشهيد نتيجة تلك الأحكام الجديدة .. أن قالوا وحسب ما سمعنا بأنفسنا (إن الصدر جابلنه دين جديد).

نعم فقد جاء السيد الشهيد بإحكام جديدة وأوامر جديدة وقضاء جديد حيث قام السيد بإصدار بعض الأحكام مثل تحريمه بعض أنواع الطرشي، وقوله بحرمة الأجبان المصنوعة من منفحة حيوانية في بلاد الكفر وقوله بعدم مفطرية السكائر في نهار شهر رمضان أي أن دخان السكَائر ليس من المفطرات، وحرمة أكل بعض أنواع السمك (كالصبور).

وما إلى ذلك من الأحكام الفقهية أما بالنسبة للأوامر المولوية فمن قبيل توجيه أمر إلى الناس بالسير لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على

الإقدام، وأمره إلى سائقي سيارات الأجرة بعدم إركابهم للنساء السافرات.

وغير ذلك ومن أبواب القضاء الجديد، كإقامته للمحاكم الشرعية. لقد جاء السيد الشهيد (قدس سره) فعلاً بدين جديد لم يكن معهوداً سابقاً.

ولو أن السيد الشهيد (أعلى الله مقامه) قد امتدت به الحياة لكان قد أتى بأحكام أخرى جديدة غير التي جاء بها ولأصدر عدة أوامر أخرى وطور القضاء والمحاكم الشرعية بصورة أفضل وأحسن مما بدأ به لكن القضاء واقع ولا مرد لحكم الله ﷻ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* لقد دلت الروايات الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام أن الإمام المهدي عليه السلام يأتي بإسلام جديد وبأمر جديد وبقضاء جديد فقد جاء في الرواية الشريفة الواردة عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **(يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحد، ولا تأخذه في الله لومة لائم)**[1].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: **(لو قد خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة - إلى أن قال - يقوم بأمر جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد .....)**[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **(إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور وإنما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه وسمي بالقائم لقيامه بالحق)**[3].

---

(١) إثبات الهداة ج٣، ص٥٤٠.
(٢) بحار الأنوار ج٥٢، ص٣٤٩.
(٣) الوافي ج٣، ص١١٣.

والحقيقة أن الروايات في هذا المجال كثيرة نقتصر على هذا القدر منها.

فإن الإمام المهدي عليه السلام سوف يدعو إلى إسلام جديد وإلى أمر جديد وإلى قضاء جديد وليس المراد حتماً إن الإمام عليه السلام يدعو إلى دين غير الدين الإسلامي بل إن المقصود من ذلك أن يأتي المهدي عليه السلام ببعض الأحكام والأوامر والقضاء المختلف عن الواقع المعاشي يومها حيث يكون الناس قد اعتادوا على أحكام معينة وأوامر وقضاء معين ولسنوات طويلة، وقد تكون تلك الأحكام ليست أحكاماً واقعية بل هي أحكاماً ظنية لم تُصب كبد الحقيقة، واستمر العمل بها جيلاً بعد جيل لذا فإن المهدي عليه السلام حينما يأتي بأحكام واقعية تخالف تلك الأحكام لا بد أن تكون ويراها الناس أحكاماً جديدة وأوامر وقضاء جديد لم يسبق لهم أن شاهدوها أو سمعوا بها، لذلك سوف يواجَه الإمام عليه السلام نتيجة لتلك الأحكام والأوامر والقضاء الجديد من قبل أغلب الناس وتُرد دعوته ولا يُصدقه الناس لأنهم يرونه قد خالف أحكامهم التي يعتقدون أنها هي الأحكام الصحيحة التي لا يجوز مخالفتها. وهذا الأمر كما قدمنا قد وقع مع سماحة السيد الشهيد (قدس سره) وهذه نقطة جديدة تضاف إلى نقاط التشابه بين حركة السيد الشهيد ودعوة الإمام المهدي عليه السلام.

دعوة العشائر وجميع المذاهب والملل

قام السيد الشهيد (قدس سره) بدعوة العشائر وشيوخها للتواصل مع العالِم وعدم الابتعاد عنه والانزواء والاكتفاء بالأعراف العشائرية الموضوعة وقد لبى البعض من العشائر وشيوخها هذه الدعوة وقاموا بزيارة سماحة السيد الشهيد (قدس سره) وراحوا يسألون عن أمور كثيرة ومختلفة فيما تخص العشيرة والفصل وما شابه ذلك، كما أن السيد ومن نفس المنطلق قام بتوجيه الدعوة إلى جميع المذاهب والملل لوضع اليد

باليد من أجل الإصلاح وتغيير الواقع المرير الذي ظل يعاني منه المجتمع العراقي لعقود طويلة حيث وجه الدعوة لأبناء المذاهب الأخرى وإلى المسيحيين والصابئة والغجر وكان ذلك من على منبر الجمعة في الكوفة المقدسة وقد نجح فعلاً السيد (قدس سره) في ذلك حيث تأثر الكثير من المسيحيين ولبوا تلك الدعوة.

وقد نجح السيد في هداية بعض العوائل المسيحية إلى الدين الإسلامي خاتم الأديان وإلى الإيمان به حتى أن بعض شبابهم أصبح من تلامذته.

كما انه دعا الغجر للالتفاف حول المرجعية الدينية وكانت هذه الدعوة الأولى من نوعها حيث لم نشهد أو نسمع عن أحد علماء وقادة المسلمين قام بهذا الفعل ودعا الغجر كما فعل سماحة السيد الشهيد (قدس سره) وقد اعتبر البعض من رجال الحديث في الحوزة العلمية إن ما قام به الشهيد الصدر (أعلى الله مقامه) فيه إساءة للحوزة العلمية والمذهب الشيعي والدين الإسلامي من دعوة الغجر، ولكن الحق إن هذه الخطوة التي قام بها سماحة السيد خطوة شجاعة وناجحة وهي إن دلت على شيء فإنها تدل على أن هذا السيد ليس رجلاً أو عالماً عادياً بل هو رجل إلهياً كان في الكثير من أفعاله مسدداً وموفقاً.

والحقيقة إن ما قام به السيد الشهيد سوف يقوم به الإمام المهدي عليه السلام كما دلت على ذلك الأخبار والروايات الواردة عن أئمة الهدى (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

فإن دعوة الإمام عليه السلام عالمية لا تخص فئة دون أخرى وهي ليست إلى أناس دون آخرين بل هي لكل الناس فهي دعوة للمسلمين سنة وشيعة وهي في نفس الوقت دعوة لكل أصحاب الديانات والمعتقدات والملل والشعوب إنها دعوة لإصلاح الأرض كلها وإصلاح المجتمع بأجمعه ثم

إن نصرة الإمام المهدي عليه السلام لا تقتصر على من عرف بالإيمان والتدين واشتهر بهما ولا على الشيعة أو المسلمين فقط بل هي لكل الناس كما قلنا.

وهذا ما يظهر من الرواية الشريفة الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (**إذا خرج القائم عليه السلام خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر**)[١].

فالذي يظهر من الرواية أنه سوف يدخل الكثير من الناس والذين يعتبرون شبه عبدة الشمس والقمر أي أنهم ليسوا مسلمين في أمر الإمام المهدي عليه السلام ودعوته المباركة.

كما أنه قد ورد عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه (جاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا)[٢].

والمعلوم أن لنبي الله عيسى عليه السلام دوراً في أمر الإمام المهدي عليه السلام لذلك فإن دعوة الإمام المهدي عليه السلام سوف تستقطب الكثير من الناس سواء كانوا من الشيعة أو السنة أو من غير المسلمين كما حصل مع دعوة الشهيد الصدر وحركته التي استقطبت بعض الناس.

أما فيما يخص العشائر فإن القائم عليه السلام سوف يأمر أصحابه بدعوة قبائلهم لنصرته عليه السلام وأتباع الحق، فقد جاء في الرواية الشريفة الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (**لا تذهب الدنيا ـ إلى أن قال ـ وحتى يقوم الرجل منكم إلى حسبه ونسبه وقبيلته فيدعوهم فإن أجابوه وإلا ضرب أعناقهم**)[٣].

---

(١) غيبة النعماني ص٣١٧.

(٢) لوقا ٣:٣.

(٣) بحار الأنوار ج٥٢، ص ٢٨٩.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يذكر أنصار الإمام وجيشه فقال : (..... **أولئك قوم يأتون في آخر الزمان قزع كقزع الخريف الرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتى يبلغ تسعة، أما والله إني لأعرف أميرهم واسمه ومناخ ركابهم...)**[١].

وبهذا يظهر لنا الشبه بين أفعال السيد (قدس سره) وحركته وبين أفعال القائم عليه السلام وحركته ودعوته.

لولا السيف بيده

لا يمكن لأي قائد أن ينجح في حياته القيادية ما لم يكن لديه سلاح يدافع به عن نفسه ويحترز به عن تطاول الآخرين ولقد كان سماحة السيد الشهيد (قدس سره) ملتفتاً إلى ذلك لذا فقد عمد إلى استخدام الشدة مع أصحابه ووكلائه والمقربين.

فلم يكن يسمح بالخطأ مطلقاً وكان يحاسب عليه وهذا ما يعرفه الكثيرين عن سيرة السيد الشهيد (أعلى الله مقامه).

وفي الواقع كان السيد يحمل سيفاً بيده لكن هذا السيف لم يكن سيفاً مادياً بل هو سيفاً معنوياً فقد استخدم السيد (قدس سره) في أيام مرجعيته التفسيق ضدّ من لا يقبل بالحق ولا يعمل به ولا يسمع النصيحة ويسعى ويعمل ضد الإسلام والمسلمين وضد المذهب.

ولما كان السيد الشهيد (قدس سره) متهماً من قبل الكثيرين من المناوئين له والذين حاولوا الحط من قدره ومقامه كمرجع وعالم من مراجع وعلماء الشيعة، لذلك قام السيد بنصحهم ولكنهم لم يسمعوا فقام بتفسيقهم وتحذير الناس منهم ومن بقية أقوالهم كما أنه ولما انحرف

---

(١) غيبة النعماني ص ٣١١.

بعض طلبته ووكلائه قام بنصحهم واثبات انحرافهم وخطأهم ولكنهم أيضاً لم يسمعوا ولم يعودوا إلى طريق الحق والهداية فقام (قدس سره) بتفسيقهم أيضاً.

لقد عرف الناس عن سماحة السيد الشهيد الصدر (قدس سره) ذلك حتى وصفوه بالشدة والحزم والواقع إن السيد (قدس سره) قد نجح بالفعل في كف أولئك المحرضين أو المنحرفين لأنهم باتوا يخشون السيد، حيث علموا جيداً أن السيد (قدس سره) لا يخشى في قول الحق أحد إن كان عدواً أو صديق، فهو لا ينظر إلى ذلك إنما كان ينظر إلى الحق فقط ولولا ذلك لما استطاع الشهيد الصدر (قدس سره) الاستمرار والاتّساع.

لقد حاول في البدء بعض طلبة العلوم الدينية في الحوزة العلمية الإساءة للسيد الشهيد (قدس سره) وحركته ومرجعيته ولكنهم عندما رأوا حزم السيد وشدته توقفوا عن اتهاماتهم وإن كان بقدر ما فقد ضل أولئك النفر يتهامسون مع شياطينهم وفيما بينهم عفا الله عنهم وسامحهم الله.

* إن ما جرى مع سماحة السيد (أعلى الله مقامه) سيجري مع القائم (عليه السلام) ولكن بصورة أوسع وأقوى وبشكل مادي فلولا أن السيف بيد القائم (عليه السلام) أي سلاحاً مادياً وليس معنوياً لأفتى الفقهاء بقتله كما في الروايات والأخبار.

فقد دلت على ذلك الأخبار على أن الناس وبالأخص فقهاء السوء وعلماء الضلالة بعد تكذيبهم لدعوة الإمام المهدي (عليه السلام) فإنهم سوف يحاولون قتله وتأليب الناس لحربه وقتاله.

فقد جاء في الرواية الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن **القائم (عليه السلام) يلقى في حربه ما لم يلق رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)، **لان رسول الله أتاهم وهم يعبدون** الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة

وأن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه بكتاب الله ويقاتلونه عليه)[١].

فالذي يظهر من الرواية الشريفة أن الخارجين على القائم عليه السلام والذين يقاتلونه هم ممن يتأولون القرآن وحتماً فإن الذي يتأول القرآن ليس من عامة الناس بل لا بدّ أن يكون من أهل العلم والمعرفة.

كما أنه قد ورد في كتاب بيان الأئمة للشيخ زين العابدين في الجزء الثالث منه (... **ولولا أن السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله..**)[٢].

والذي نستفيده من هذا الكلام أن الكثير من الناس ومن طلبة العلوم الدينية وفقهاء السوء وعلماء الضلالة يحاولون رد الإمام عليه السلام ومحاولة قتله وتكذيبه وهذا ما جرى مع سماحة السيد الشهيد (قدس سره) والذي سيجري كما ذكرنا مع القائم عليه السلام، فتزداد بذلك نقاط الشبه بين الحركتين.

توحيد المسلمين

لم نشهد في زماننا هذا رجل دين سواء كان من رجال الدين الشيعة أو من رجال الدين السنة حاول ونادى من أجل جمع كلمة المسلمين سنة وشيعة كما فعل سماحة السيد الشهيد (قدس سره)، حيث نادى ودعا إلى توحيد الكلمة ونبذ الاختلافات.

فقد دعا أهل السنة للحضور إلى صلاة الجمعة من أجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمته ولم يكتفي بذلك بل أمر أنصاره بأن يحضروا مع أهل السنة في مساجدهم ويصلوا معهم وفعلاً فقد قام الكثير من أتباع السيد الشهيد ومقلديه بالحضور مع أهل السنة في مساجدهم وأداء صلاة

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢، ص٣٦٢.

(٢) شرح أصول الكافي ج٨، ص٢١.

الجماعة معهم وبإمامة رجل دين سني وهذه الحالة استمرت ولم تنقطع إلى عدة سنوات.

كما أن بعض أهل السنة قد حضروا إلى المساجد الشيعية التي كان يصلي فيها أنصار الشهيد الصدر (قدس سره) وخاصة في صلوات الجمع وهذا الأمر أصبح مألوفاً ومعروفاً من قبل الآخرين.

وهذه بالفعل خطوة جبارة تعتبر الأولى من نوعها في زماننا هذا الذي أصبح وللأسف أبناء المذهب الواحد متفرقين يكذب بعضهم البعض ويتهم بعضهم البعض الآخر.

ولم يتوقف طموح السيد عند هذه النقطة فقط أي حضور الصلاة سواء كانت صلاة إخواننا من أبناء السنة أو حضور السنة إلى مساجد الشيعة وأدائهم لصلاة الجمعة فقد كان وكلاء السيد وأنصاره يتبادلون مع أهل السنة الزيارات سواء كان في المناسبات الدينية أو في الأيام العادية لقد شهدت تلك الفترة حقاً تقارباً وثيقاً بين أبناء المذهبين الشيعي والسني على اختلافها، والحقيقة إننا نعتقد انه لو قدر للسيد من العمر غير الذي قدر له لأصبحت ثمار عمله ذلك أكثر وضوحاً ونضوجاً ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كان التعاون والائتلاف واضحاً بين أنصار السيد ومقلديه وبين إخوإننا من أهل السنة ونتمنى أن يستمر ذلك الوئام ولا ينقطع على الأقل من باب السعي إلى إتمام ما أراده السيد الشهيد (قدس سره) وسعى إلى تحقيقه وإن كانت الظروف قد تغيرت والفتن قد عصفت بالبلاد لكن كما أن هناك مبغض وعدو فإن هناك محب وصديق نتمنى أن لا يضيعوا ويظلموا بسبب أولئك الأعداء.

وعلينا بعد أن أنعم الله علينا ومكننا من بلادنا وأزال حكم الطغاة والظالمين عنا أن لا نظلم الأبرياء من إخوإننا أهل السنة بل علينا أن نريهم فعل الكريم وخلق أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

* وعوداً على بدء أقوال إن كل ما قام به السيد الشهيد في هذا المجال من باب توحيد المسلمين وجمع الكلمة على التقوى سوف يقوم به الإمام المهدي عليه السلام ولكن بصورة أوسع وأكثر حيث ستبدأ دعوة الإمام المهدي عليه السلام عند الشيعة ثم تشمل باقي المسلمين من إخوإننا أهل السنة، وسوف يوفقون بعضهم لنصرة الإمام المهدي عليه السلام والالتحاق بدعوته المباركة حيث يظهر قسم من أنصار الإمام عليه السلام من أهل السنة وسوف يكونوا دعاة للإمام عليه السلام في مجتمعاتهم ودولهم.

إن ما قام به سماحة السيد الشهيد (أعلى الله مقامه) ومقارنته بما يقوم به الإمام المهدي عليه السلام لَيَجعل الإنسان حائراً متسائلاً كيف توصل السيد الشهيد إلى القيام بكل هذه الأفعال التي تشبه إلى حدٍّ كبير الأفعال التي يقوم بها الإمام المهدي عليه السلام وإن كانت أفعال السيد (قدس سره) بشكل مصغر وأفعال الإمام المهدي عليه السلام أوسع وأشمل فإن حركة السيد مختصرة بحسب إمكاناته على مجتمع معين ولكن حركة الإمام عليه السلام ودعوته حركة عالمية بما يلاءم إمكانات الإمام عليه السلام العلمية والعملية وغير ذلك.

الحسد

إنه قديم بقدم البشر حيث حسد إبليس آدم عليه السلام وحسد قابيل هابيل حتى قام بقتله كما دلت على ذلك الروايات وسيبقى هذا الداء ملازماً لبني البشر فقد حسد إخوة يوسف عليه السلام أخيهم واستمر هذا الحال إلى زماننا هذا ويستمر إلى زمان الإمام المهدي عليه السلام.

إن هذا الأمر في الواقع حصل مع سماحة السيد الشهيد فما أن بدأت شعبيته بالانتشار وأخذت مرجعيته بالاتّساع حتى كثر الحاسدين له الذين كانوا يتمنون زواله وزوال مرجعيته، وقد كان الحاسدين وللأسف الشديد من داخل الحوزة العلمية وهذا الآمر ليس غريباً وعجيباً كما قد يتصور البعض أو العامة من الناس فإن الواقع أن من يحسد النجار ليس الخباز حتماً إنما يحسده نجار مثله وكذا من يحسد الحداد حداد مثله أيضاً وكذلك العالم أو المرجع أو المجتهد فإنه لا يحسده إلا العالم أو المرجع أو المجتهد وهذا الأمر معروف بين العلماء والعياذ بالله فقد جاء في الرواية الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **(إن الله عز وجل يعذب ستة بستة: العرب بالعصبية، الدهاقنة[١] بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق[٢] بالجهل)**[٣].

إن الحسد في الواقع يكون من المنافق الذي يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر فقد جاء في الرواية الشريفة الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(إن المؤمن يغبط ولايحسد والمنافق يحسد ولا يغبط)**[٤].

وبهذا يتبين لنا إن الذين حسدوا سماحة السيد الشهيد (قدس سره) هم من الفقهاء وهم في الواقع منافقين كما وصفهم الإمام الصادق عليه السلام في الرواية الشريفة المتقدمة فإن المؤمن لا يحسد أحداً وبهذا يتبين لنا أن من يحسد القائم عليه السلام هم الفقهاء وعلماء السوء المضلين المنافقين الذين يظهرون أنفسهم وكأنهم علماء ربانيون مقدسون ولكنهم في الواقع خلاف

---

(١) الدهاقنة: جمع دهقان وهو معرب كلمة دهكان الفارسية ومعناه رئيس القرية أو الرجل الثري أو صاحب الأموال والعقارات الكثيرة.

(٢) الرستاق: معرب كلمة روستا الفارسية وهي بمعنى القرية.

(٣) الخصال ج١، ص٣٢٥.

(٤) الكافي ج٢، ص٣٠٧.

ذلك فهم منافقين يحاربون الإمام عليه السلام ويكذبون دعوته ويحسدونه على ما أتاه الله من فضله كما دلت على ذلك الروايات المعصومية الشريفة.

* فقد جاء في الرواية الواردة عن أبي خالد الكابلي قال: (لما مضى علي بن الحسين عليه السلام دخلت على محمد بن علي الباقر عليه السلام فقلت له: (**جعلت فداك قد عرفت انقطاعي إلى أبيك وأنسي به ووحشتي من الناس. قال: صدقت ـ يا أبا خالد ـ فتريد ماذا؟ قلت: جعلت فداك لقد وصف لي أبوك صاحب هذا الأمر بصفة لو رأيته في بعض الطرق لأخذت بيده. قال: فتريد ماذا، يا أبا خالد؟ قلت: أريد أن تسميه لي حتى اعرفه باسمه. فقال: سألتني والله ـ يا أبا خالد ـ عن سؤال مجهد ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثاً به أحداً ولو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة)**[1].

فإن المراد من بني فاطمة هنا هم علماء وفقهاء الدين فإنهم يحسدون صاحب هذا الأمر على ما أتاه الله من فضله.

إن الحسد في الواقع لا ينتهي فكما حسدوا محمد الصدر (قدس سره) سيحسدون صاحب هذا الأمر ولو أنهم تمكنوا منه لقتلوه وقطعوه بضعة بضعة كما في الرواية الشريفة المتقدمة.

حربه للطغاة

ما إن بدأت قاعدة السيد الشهيد الصدر (أعلى الله مقامه) بالاتّساع والثبات وبدأ حب السيد وفكره يتغلغل في النفوس ويأخذ مداه فيها حتى بدأ بالتنديد بأمريكا وإسرائيل وكان يطلق كلمات الرفض لهما من على

---

(١) غيبة الطوسي ص٣٣٣.

منبر الكوفة ويطلب من المصلين إن يرددوا ويهتفوا بتلك الشعارات خلفه كان غضب السيد من أمريكا وإسرائيل يظهر في خطبه ولقاءاته ولم يكتفي بهذا الحدّ بل راح ينقذ كل من يتعاون معهم فندد بحكام العرب وبعض الدول الإسلامية، وقد قال عنهم: إنهم يخدمون أمريكا وإسرائيل ودول الكفر وهم عملاء لتلك الدول بل إن السيد الشهيد راح يندد بحكم الطاغية صدام وإن كان ذلك بشكل مبطن ولكنه يفهم بوضوح لعامة الناس حتى أنه اتهم الحكومة العراقية بقتل الشيخين علي الغروي (قدس سره) ومرتضى البروجردي (قدس سره).

وكانت تلك الدول تدرك الخطر القادم نحوها من تلك المدينة التي كانت عاصمة الإسلام في زمن أمير المؤمنين عليه السلام ولطالما سعت من أجل دفع الطاغية صدام (عليه اللعنة) من أجل القضاء على الشهيد الصدر (قدس سره) وحركته ولكن صدام كان يدرك أن عاقبة هكذا أمر ستكون سيئة بالنسبة له ولحكومته وحرجة وصعبة في نفس الوقت نظراً لاتساع قاعدة السيد الشهيد، إضافة لكون أنصاره يختلفون عن باقي أنصار مراجع الدين الآخرين فلقد خبرتهم الحكومة العراقية وجربتهم جيداً فلا يمكن المخاطرة فلربما كانت نهاية صدام وجلاوزته بسبب ذلك، ولكن أمريكا وإسرائيل كانت تخشى من تطور الأحداث .. كانت تخشى من (الليث الأبيض) كما أطلقوا على سماحة السيد (قدس سره) أن يقود ثورة للإطاحة بصدام وحكومته فيخرج الأمر عن سيطرتها بعد أن أحكمت القبضة عليه عن طريق صدام (لعنه الله) هكذا أعلن السيد (قدس سره) حربه ضد الطغاة والمتجبرين ولم يتوانى عن ذلك لأي سبباً كان مع علمه بخطورة الأمر وصعوبته ولكنه كان لا يرى إلا الله عز وجل ولم يكن يخشى في سبيل الحق شيئاً، هكذا سوف يحارب القائم عليه السلام الطغاة كما دلت على ذلك الأخبار والروايات.

* فقد جاء في الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **(ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب، قلت جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: شيء يسير ...)**[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **(إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف ما يأخذ منها إلا السيف ...)**[٢].

والروايات في هذا الصدد كثيرة ولسنا هنا في مقام الاستدلال على حكم شرعي لذا فإننا نقتصر على هذا القدر من الروايات، فإن الإمام المهدي عليه السلام كما يظهر من الأخبار ليس له أنصاراً من الدول العربية إلا القليل منهم الذين سيهبون لنصرته والدخول في دعوته، لذلك فإن أكثر العرب سيحاربون الإمام المهدي عليه السلام ولا يكون ذلك بتوجيه من قادتهم وحكامهم المعبر عنهم في الروايات بالطغاة، لذا فإن الإمام عليه السلام سيقضي عليهم في مراحل قيامه الأولى وذلك لتحرير الشعوب العربية من سلطنة هؤلاء العملاء المتجبرين الطغاة الذين لم يجلبوا للأمة سوى الويلات وتسببوا في ضياع الدين الإسلامي الحنيف بسبب ممارساتهم التي لا تمت إلى الإسلام بصلة.

لقد علم سماحة السيد الشهيد (قدس سره) بانحراف هؤلاء الطغاة وضلالتهم وعمالتهم لأسيادهم في أمريكا وأوروبا وإسرائيل لذلك حاربهم وندد بهم وبسياستهم وإسلامهم الزائف وبهذا فقد أصبح الشبه واضحاً بين فعل السيد هذا وتحركه في هذا الأمر وبين فعل الإمام عليه السلام وحربه وهؤلاء الطغاة المتجبرين.

---

(١) غيبة النعماني ص٢١٢.

(٢) غيبة النعماني ص٢٣٩.

الأصنام البشرية

كان السيد الشهيد الصدر (قدس سره) أول من أشار إلى وجود الأصنام في زماننا هذا ولكن الأصنام في هذا الوقت ليست من الحجارة أو الخشب أو ما شابه ذلك بل هي أصنام بشرية أي إن فئة من الناس اتخذهم الآخرون آلهة يعبدونهم من دون الله ﷻ وهذا ما أشار له المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾.

وجاء في تفسير هذه الآية المباركة نقلاً عن الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فقال: **(والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لايشعرون)**[١].

فإن الذي يظهر من الآية الشريفة وتفسيرها الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أن طاعة العلماء في كل شيء إنما هي عبادة لهم من حيث نشعر أو لا نشعر، وفي الواقع أن هذه العبادة ليست بمعنى اتخاذهم آلهة بل بمعنى الطاعة لهم ليقربوا من يعبدونهم من الله زلفى كما كان يعتقد المشركون من قبل قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[٢].

فإن الناس في زماننا هذا إنما يطيعون العلماء لكي يقربوهم من الله ﷻ كما حصل مع اليهود والنصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله بطاعتهم لهم في كل شيء لذلك فقد حارب السيد

---

(١) الكافي ج١ ص٥٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

الشهيد هذا الأمر وقد أكد على وجود الأصنام والصنمية في عصرنا هذا وحذر من طاعتهم في كل ما يقولوه لأن ذلك بمعنى العبادة لهم فإن العالِم مهما بلغ من العلم يبقى غير معصوم فهو يصيب ويخطأ والخطأ طبعاً من الشيطان والنفس وليس من الله ﷻ فطاعته للعالِم في خطأه طاعة للشيطان ومعصية للرحمن.

لذا فعلى الإنسان أن يختار جيداً وأن يبقى حذراً وقد أشار السيد (أعلى الله مقامه) على البعض وقال عنهم ومن على منبر الجمعة: (إن هؤلاء أصنام) وأشار بيده وكان يقصد العلماء الساكتين الذين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يسعون إلى الإصلاح.

لقد قام السيد بإزالة القدسية التي لا واقع لها، تلك القدسية الزائفة التي حاول الكثير من رجال الدين أن يظهروها لكن السيد استطاع أن يرفع تلك القدسية من نفوس الناس وقد نجح فعلاً في ذلك وفي تعرية الكثير من الزائفين والمنافقين الذي استغلوا حب الناس لرجال الدين فراحوا يخدعون الناس البسطاء ويظهرون أنهم عابدون وعلماء وفقهاء والواقع أنه لا قدسية لهم بل هم يخدعون الناس بأساليب علمية وعملية وغير ذلك، وهذا الأمر سيقوم به المهدي عليه السلام وبشكل أوسع حيث سيحطم تلك الأصنام البشرية كما فعل جده أمير المؤمنين عليه السلام وحطم الأصنام الحجرية وأزالها من بيت الله الحرام.

* فقد دلت الروايات الشريفة عن وجود أصنام بشرية في وقت ظهور دعوة الإمام المهدي عليه السلام وحركته فقد جاء أن من ضمن العلامات الدالة على قرب القيام المقدس للإمام عليه السلام فعن الإمام علي قال: (.....**والمذبوح بين الركن والمقام وقتل الأصقع صبراً في بيعة الأصنام**)[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢، ص٢٧٣.

وفي هذه الرواية دلالة على وجود أصنام في ذلك الوقت وهي أصنام بشرية لأن الأصنام الحجرية لا تؤخذ لها بيعة إنما البيعة تكون للبشر كما أنه قد جاء في الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) أنه قال: **(لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان)**[١].

وجاء في الرواية عن صادق العترة عليه السلام أنه قال: **(إن القائم يلقى في حربه ما لم يلق رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **لأن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشب المنحوتة وأن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه)**[٢].

وفي هذه الرواية دلالة واضحة على وجود الأصنام في آخر الزمان ولكنها أصنام بشرية أي فقهاء وعلماء يتأولون على القائم عليه السلام كتاب الله عز وجل وإلا فما معنى أن الإمام الصادق عليه السلام يأتي على ذكر عبادة الأصنام الحجرية لو لم تكن هناك علاقة ومناسبة بين الزمانيين.

أعداء الصدر وأعداء القائم عليه السلام

كما إن للسيد أنصاراً ومقلدين فكذلك له أعداء ومناوئين وما أكثر أعداء طالبي الحق والقائلين به والداعين إليه فقد قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

لقد سار السيد الشهيد (قدس سره) ومنذ بداية ظهوره في طريق الحق لذا فقد قل أنصاره وكثر أعدائه فقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: **(لا تستوحشوا طريق الحق لقلة من يسلكه)**.

---

(١) كنز العمال ج١١، ص٣٦٧.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢، ص٣٦٣.

إن أعداء الصدر في الواقع كثيرين ومن مختلف الطبقات والفئات فقد كانت حكومة الطاغية صدام لعنة الله عليه من أشد أعداء الشهيد الصدر (قدس سره) وكان أزلام هذه الحكومة وعيونها من عامة الناس أحياناً ومن خاصتهم أحياناً أخرى.

كان العداء للسيد (رضوان الله عليه) من الداخل أي من داخل العراق ومن خارجه لقد كان الشيطان وللأسف يحرض أولياءه ضد السيد الشهيد ولم يكن كل ذلك العداء مؤثراً وفاعلاً لولا العداء الذي شنته الحوزة التقليدية ضد السيد وحركته التجددية الذي أراد منها إصلاح ما أفسد الدهر وتغيير واقع المجتمع العراقي نحو الأفضل والأحسن منذ الأيام الأولى لظهور السيد الشهيد (قدس سره).

فقد وجه بعض الفقهاء وطلبة العلوم الدينية حرابهم بوجه السيد الشهيد وقد استخدموا في ذلك العداء مختلف الأساليب سواء كانت بالاتهامات المباشرة ومحاولة الحط من شخص السيد أو من خلال بث الإشاعات المعادية للسيد والتي أرادوا منها الحيلولة دون انتشار حركته (قدس سره) ومرجعيته بين الناس. لقد قاموا بإطلاق شتى الاتهامات وأبشعها والتي لا يمكن تصورها من قبيل أنه لا تجوز الصلاة خلفه لأنه ابن......... حاشاه من ذلك وحاشا أمه الطاهرة ولعنة الله على القوم الظالمين كما أنهم اتهموا السيد بأنه عميل للحكومة العراقية وعميل لأمريكا وإسرائيل وغير ذلك الكثير من الاتهامات التي لا تخفى على أغلب الناس.

كما أن من الأساليب التي استخدمت في معادات السيد وحركته ومرجعيته الأساليب الإعلامية حيث استغلت البعض الصحف والمجلات وخاصة خارج العراق الإساءة لسماحة السيد والطعن به.ولا نريد هنا ذكر هذه الاتهامات سواء كانت خارج العراق أو داخله وإثباتها وذكر البينات

والشواهد عليها فقد باتت معروفة في المجتمع العراقي ولا نحتاج إلى ذكرها تفصيلاً.

والمهم هنا هو الإشارة إلى ذلك العداء بصورة إجمالية ولا بد أن نذكر إن أكبر العداء وأشده والذي كان السيد يتألم منه صراحة هو العداء الحوزوي لسماحته (قدس سره) أو بالأحرى هو عداء الكثير من رجال الدين والفقهاء وطلبة العلوم الدينية له (رضوان الله عليه) والحقيقة أن هذا العداء لم يؤثر في شخص السيد فقط بل تسبب في الواقع في شق الصف الشيعي واتّسع ليكون بين مقلدي وأنصار السيد وبين مقلدي باقي العلماء.

وهذا بعينه ما سوف يقع مع القائم عليه السلام حيث يكره أعداءه ومناوئيه والخارجين عليه وخاصة من رجال الدين والفقهاء خروجه.

فقد دلت على ذلك الكثير من الروايات حيث جاء في الرواية الواردة عن امير المؤمنين عليه السلام وهو يصف حال علماء السوء عند خروج الإمام المهدي عليه السلام حيث قال: (**وينتقم من أهل الفتوى في الدين لما لا يعلمون فتعساً لهم ولأتباعهم، أكان الدين ناقصاً فأتموه أم كان به عوجاً فقوموه أم الناس هموا بالخلاف فأعطوه أم أمرهم بالصواب فعصوه أم وهم المختار فيما أوحي إليه فكذبوه أم الدين لم يكمل على عهده فكملوه وتمموه أم جاء نبي بعده فاتبعوه ....**)[1].

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: (**إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **من جهال الجاهلية قلت: وكيف ذلك؟ قال** عليه السلام: **إن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة وأن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله**

---

(١) إلزام الناصب ج٢، ص٢٠٠.

ويحتج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر)[١].

وجاء في رواية أخرى عنه عليه السلام أيضاً قوله: (**إن القائم يلقى في حربه ما لم يلق رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) **لأن رسول الله أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشب المنحوتة وأن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه)**[٢].

ومن هذه الروايتين الشريفتين يتبين لنا أن هؤلاء الخارجين هم من فقهاء الدين وعلماء السوء وليسوا من عامة الناس وذلك يظهر من قول الصادق عليه السلام «وكلهم يتأول عليه كتاب الله» وفي الرواية الثانية قوله عليه السلام «فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه».

فإن عامة الناس ليس لهم القدرة على التأويل. بل إن من لهم القدرة على المحاججة والتأويل هم علماء الدين خاصة وهذا المعنى ذكر أيضاً في كتاب الامتحان الأخير الصادر من مركز باء للدراسات التابع للسيد علي الخامنئي حيث جاء في الكتاب تعليقاً على هذه الروايات ما هذا نصه:

(ولا شك فإن الوجدان والتجارب الماضية والحاضرة من سيرة الأئمة عليهم السلام يحكمان بأن الذي يملك القدرة على التأويل ليس هم البقال أو الحمال أو .... إنما هم من يملك حظاً من علم ولا ريب أنه من علم الدين أيضاً أكان حقاً أم باطلاً) انتهى ما جاء في الكتاب.

وعن مالك بن ضمرة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (**يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا؟ وشبك بين أصابعه وأدخل**

---

(١) غيبة النعماني ص٢٩٧.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢، ص ٣٦٣.

بعضها في بعض ـ فقلت: يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير، قال: الخير كله عند ذلك، يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقّدم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله فيقتلهم، ثم يجمعهم الله على أمر واحد)[١].

والواقع أن هؤلاء السبعين رجلاً هم من علماء السوء والضلالة لأن عامة الناس مهما كذبوا فلا يصدق عليهم أنهم يكذبون على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) فإن الذي يكذب على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) هو من ينسب إليهم بعض الأحكام وهي ليست منهم كما أن ما يؤكد ذلك هو أن هؤلاء السبعين كانوا سبباً في تفرق الشيعة فلا بدّ إذن أن يكونوا علماء ومراجع ولكنهم من علماء السوء، وإلا فإن سبعين رجلاً من عامة الناس لا يستطيعون تفريق الشيعة مهما بلغوا.

وقد علق الشيخ الكوراني على هذه الرواية في كتاب عصر الظهور فقال: (وتذكر الرواية التالية أنه يقتل سبعين رجلاً هم أصل الفتنة والاختلاف داخل الشيعة ويبدو أنهم من علماء السوء المضلين)[٢].

وبهذا يتبين لنا العداء الذي يقوده الفقهاء ضد القائم عليه السلام وكيف أنه عليه السلام سوف يعاقبهم على ذلك بالقتل ويريح العباد والبلاد منهم. وهذا الأمر في الحقيقة قد تحقق بعينه مع السيد الشهيد الصدر (قدس سره) كما بينا.

إلى هنا نكون قد انتهينا من بيان أوجه التقارب بين حركة السيد الشهيد وحركة الإمام المهدي عليه السلام وقد تبين لنا بوجه لا يقبل الشك بأنها حقًّا المثال المصغر لحركة الإمام المهدي عليه السلام جعلنا الله وإياكم من المناصرين والمدافعين عنه إنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين.

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢، ص١١٥.

(٢) عصر الظهور الكوراني ص١٨٢.

سيرة حياة القحطاني

لا إله إلا الله الملك الحق المبين الذي علا فقهر وبطن فخبر وعصي فغفر حصن المؤمنين وملجأ الهاربين وغياث المستغيثين ومبير الظالمين ومهلك المتجبرين وناصر أولياءه يوم الدين ونحمده فوق حمد الحامدين على آلاءه المتواصلة ونعمه المترادفة الذي خلق الإنسان وجعله خليفته في أرضه فامتحنه بالطاعة والصبر والقناعة وجعل له دلائل تدل عليه وعلامات تشير إليه، ليهتدي الخلق إلى نوره وينتهلوا من عذب معينه ويتجنبوا سخطه ونقمته ويحذروا ناره وعذابه، وجعل أكبر علاماته إليه وأدلها عليه رسله وأنبياءه ليقيموا له حججه على خلقه ويدلونهم على طريق مرضاته وإرادته، فتتابعت الرسل رسول بعد رسول ونبي بعد نبي وحجة بعد حجة ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ فكلما اضمحل الدين وضعف في نفوس العالمين، جدد الله تعالى طريق الحق بإرسال رسول من عنده يقوّم به الاعوجاج السالف ويظهر الحق المندثر ليَظهر النور ويعم من جديد.

ورغم الصعوبات التي يواجهها رسل الله في إعادة الحق إلى نصابه، فالأمم تتبَع ما اعتادت عليه وإن كان غاية في البعد عن الحق قال تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ فكلما جاء نبي أو حجة من الله لاقى ما لاقى من قومه من العذاب والصدود والتكذيب والتعذيب والجحود، فالكل رافضين للتغيير

وإن كان حق يقين قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

وخير ما شهدته هذه الأرض من الرسالات السماوية هي رسالة سيد الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) فكان متتم للشرائع وخاتم لها، فلا نبي بعده ولا شريعة ناسخة لشريعته، فلاقى من قومه ما لم يلاقي نبي قبله حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً): **(ما أوذي نبي مثلما أوذيت)** فتحمل عبئ الرسالة وجاهد المخالفين إلى أن تمكن من نشر الدين ودخول الناس في طاعة رب العالمين فاستقامت الأمة على نهجه ولكن يأبى الله إلاّ أن تجري سننه في خلقه بأن تحذو هذه الأمة حذو الأمم السالفة من تغيير الشرائع واتباع البدع والأكاذيب قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ وجاء في تفسير هذه الآية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) حيث قال: **(والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطئون طريقهم ولا تخطئكم سنة بني إسرائيل)**[١].

فكان كما قال النبي فقد أُقصي الوصي وسلكت هذه الأمة مسلك أخواتها من الأمم السالفة من تحريف الدين وسن البدع في شريعة رب العالمين وإماتة السنن وعاش أولياء الله مقهورين مستضعفين ليس لهم سامع ولا لإرادتهم طائع فبقوا صابرين بين قتيل وأسير ومسموم وسجين والأمة مسترسلة في غيّها وانحرافها عن الصراط القويم.

وشاء الله أن تكون سنته في آخر حججه أن يغيبه عن الناظرين وجعل له نوافذ يشرق من خلالها على أمة سيد المرسلين فلا بد أن تجري فيهم هذه السنة لا محالة لأن الناس مولعة بالجهالة، فالأمة بدلاً من أن تستنير بالنور الداخل إليهم من الكوة ليبصروا الطريق راحوا

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٢٩، ص ٤٥٠.

يضعون الحجب والموانع التي جعلوها تحول بين الناس ونور الحجة لأنهم لا يريدون أن يستمعوا لمن نصبهم الإمام سبلاً للوصول إليه وكأن لسان حالهم يقول: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

وبذلك قد شابهوا من كان قبلهم من المكذبين والرافضين لاختيار رب العالمين، فكان الاعتراض ظاهراً على من اختارهم الإمام أبواباً له، لأن الناس يريدون أن يضع لهم الإمام من يناسب أهواءهم الفارغة وعقولهم الخاوية، فاعترضوا على السفراء لكونهم من عوام الناس وبسطائهم فمنهم الخلال الذي يبيع الخل والسمان فكيف يقتنع الناس بأن يكون السفير من البسطاء، فلم يرضوا بما أراد الله ونسوا أن الأمر له وحده يختار من يريد قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

فكان الناس لا يسألون السفير بل يسألون الفقيه، فأصبحت أبواب الإمام مهجورة فلا سؤال ولا سائل وخير شاهد على ذلك قلة التواقيع التي خرجت على طول فترة الغيبة الصغرى من الناحية المقدسة، والتي امتدت لأكثر من سبعين سنة وهي فترة طويلة فلو جمعت تلك التواقيع على طول هذه الفترة لما كانت كتيب فضلاً عن أن تكون كتاب، فكانت الأمة هي التي حكمت على إمامها بالغيبة كما هُجر الأولياء طوال الزمان وهُجر كذلك القرآن فلا تكاد تجد في أوساط الدين درساً من دروس القرآن ولا لأحكام تلاوته فضلاً عن تفسيره، فحقق إبليس اللعين وعده المشؤوم بقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ فوسوس للناس هو وأعوانه ترك إمامهم وإقعاده عن القيام بالأمر لأنه عليه السلام لا يقوم حتى يجتمع له الأنصار والأعوان فكان الغياب لازماً لهذه الأمة لأنهم تركوا إمامهم فاستحقوا غضب الجبار والسقوط في النار.

قال أبو جعفر عليه السلام : **(إذا غضب الله تبارك وتعالى على خلقه نحانا عن جوارهم)**[١].

فعبد القوم أهوائهم ونتاج عقولهم كما عبد بنو إسرائيل العجل اللعين وأبدلوه برب العالمين، ومات الحق وظهر الباطل وكأن هذه الأمة شابهت بأفعالها أفعال أخواتها من الأمم بالبقاء على الباطل ووصلوا إلى النقطة المنحطة التي يكون بعدها ظهور الحق، ليتم الله وعده بحجته ويظهره على الدين كله ولو كره المشركون وسيكون المجدد للحق والمنقذ من هذه الجهالة في زمننا هو الإمام المهدي عليه السلام.

وبما إن الأمة قد ابتعدت كثيراً عن جادة الصواب والحق فيكون من الصعب قبول الإمام ودون تمهيد لذلك المقدم المبارك، فلا بد أن يبعث إلى هذه الأمة رسلاً من عنده يمهدون له الطريق ويحاولون تغيير بعض المسارات التي يصل الناس من خلالها إلى حال الاستعداد لقبول الحق، وهؤلاء الرسل المبعوثين من قبله عليه السلام يكونون بمراتب ومهام متباينة فيأتي الأمر بالتدريج إلى أن يصل إلى آخر ممهد والذي يكون هو الممهد الرئيسي الذي يوصل الأمة إلى حالة الاستعداد والتهيؤ لقبول وتحمل أمر الله وأمر وليه وخليفته في أرضه المهدي عليه السلام وخير شاهد ما ورد في القرآن في ذكر هذا المعنى قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فهؤلاء الرسل المعنيين في الآية يكون انطباقهم في زماننا على رسل الإمام إلى الناس قبل مقدمه المبارك، وكذلك ما جاء في الكتاب المقدس في مَثَل الكرامين فقد شبّه عيسى عليه السلام الإمام المهدي عليه السلام بصاحب الكرم (العنب) الذي غاب عن أرضه وعنبه لوقت

(١) موسوعة الإمام الجواد ج٣، ص٤٣١، الكافي للكليني ج١، ص٥٠٦.

طويل وأوكل الأمر إلى قوم ليرعوا أرضه إلى أن يعود من سفره وعندما حان وقت الحصاد بدأ بإرسال هؤلاء الرسل الذين يكونون بمثابة الممهدين الذين يسبقونه، وبعد ذلك يكون مقدمه المبارك الذي يقطع فيه تلك الرؤوس الخائنة التي رفضت تسليم الأمانة إلى أهلها، فقد جاء في الإنجيل: (**وابتدأ يقول للشعب هذا المثل إنسان غرس كرماً وسلمه إلى كرامين وسافر زماناً طويلاً وفي الوقت أرسل إلى الكرامين عبداً لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغاً فعاد وأرسل عبداً آخر فجلدوا ذلك أيضاً وأهانوه وأرسلوه فارغاً ثم عاد فأرسل ثالثاً فجرحوا هذا أيضاً وأخرجوه، فقال صاحب الكرم ماذا أفعل أرسل ابني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون، فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث هلموا نقتله لكي يصير لنا الميراث فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فماذا يفعل بهم صاحب الكرم يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين فلما سمعوا قالوا حاشا فنظر إليهم وقال إذاً ما هو هذا المكتوب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية كل من يسقط على ذلك الحجر يترضرض ومن سقط هو عليه يسحقه فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادي عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب لأنهم عرفوا إنه قال هذا المثل عليهم**)[١].

وكذلك فإن نبوة يحيى عليه السلام كانت تمهيداً لقدوم المسيح وكان يبشر به بين الناس ليهيئهم لقبوله، فجاب السهول والقفار يبشر بذلك المولود الذي يخلص العباد من عبادة العباد فقد جاء في الإنجيل: (**وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ. فَإِنَّ هذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ**

---

(١) لوقا ٢٠: ١٣.

الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً».

وَيُوحَنَّا[1] هذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا. حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ، وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ.

فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ، قَالَ لَهُمْ: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ.

ولاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْراهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْراهِيمَ.

والآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لا تُطْفأُ».

حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!».

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ.

---

(١) يقصد بيوحنا يحيى عليه السلام.

فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ)[١].

وهذه السنة جارية في زماننا.

لقد كان للسيد القحطاني دور ونشاط مغاير عن غيره من ناحية الكم والنوع لِما جاء به من الهداية وتصحيح ما يحمل الناس من نظريات خاطئة حول القرآن والسنة وقضية المهدي عليه السلام، فكان هذا الإنسان الذي يحمل في جنباته كل ما يدل على الإيمان والتقوى والإخلاص واليقين والزهد والشجاعة والأصل الطاهر الذي قَلَّ أو انعدم في زماننا نظيره، فقام ليضطلع بالمهمة الصعبة الشاقة لتنبت بين الناس أشجار التوحيد والنور بعد أن استبد الجهل والظلام.

فإن السيد القحطاني من شدة حبه للإمام عليه السلام كان كثير التفكر في أمره والخوف من يومه فكان يتورع عن الأكل من بيت المال المستحصل من خمس الإمام بعد أن دخل في أوساط الحوزة العلمية في النجف الأشرف فكان يسكن في أفقر الأحياء التي لا يمتلك أهلها شيء من حطام الدنيا غير بعض الأحجار التي يتوارون خلفها من زمهرير الشتاء وحرارة الصيف وكان يُلبس أطفاله الثياب الرخيصة ويأكل أبسط الطعام طمعاً في عفو الإمام عن الفقراء والمستضعفين وليكون ذلك باباً لنيل رضاه وقبوله وكذلك كان من أكرم الناس في زمانه فقد كان يعطي كل ما يملك للفقراء والمحتاجين وغيرها من الصفات الحميدة التي تحلى بها.

ولد السيد القحطاني في مدينة الكاظمية ببغداد عام ١٩٧٦م وعاش مع أسرته في دارهم الواقعة في مدينة العمارة جنوب العراق، نشأ

---

(١) متى ٣:١.

وترعرع بين أقرانه وكان يمتاز بالذكاء والتدين منذ صغره وكان يحب الإمام المهدي عليه السلام حباً عجيباً جعله يديم الفكر فيه والبحث عنه وعن الدين الحق فقام على الرغم من صغر سنه بالبحث عن العلم الصحيح حتى خارج بلده ففي سن السادسة عشرة من عمره غادر بلده إلى أحد البلدان الإسلامية لدراسة العلم وبعد أن أتم دراسته هناك عاد إلى بلده لأنه لم يجد ضالته هناك فقام باستئناف الدراسة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وبعد الجد والاجتهاد أصبح من أبرز طلابها وكان لديه حلقة للدرس هناك وألّف على صغر سنه كتاباً فريد من نوعه ربط فيه بيّن المنطق والقرآن، وقام في داخل الحوزة بمحاولة التغيير وشن ثورة على الأفكار والتصرفات الخاطئة، فأراد من خلال ذلك رفع الظلم عن الناس وبين نقاط الخلل هناك من التفرقة في العطاء (العدالة المالية) والاستحواذ على الحقوق وإماتة الكثير من السنن وظهور البدع وهجر القرآن.

فكان يدخل مجالس العلماء ويلقي عليهم الحجة ويعلن براءته من تلك الأفعال واستمر على هذا الحال ولم يكن يخشى في الله لومة لائم ولا عذل عاذل فبين بطلان الكثير من الأحكام وأخبر الناس عن قرب القيام، فبدأ الأنصار يجتمعون إليه والأعداء يؤلبون عليه فقاموا بمحاولة اغتياله ولكنهم فشلوا في مبتغاهم بعد أن خيب الله تلك الأيادي الآثمة التي ما فتأت موغلة في رقاب الصالحين والأولياء فكان في كل مرة ينجوا من أولئك الأشرار من منتحلي الإيمان.

وبعد كثرة المخاطر في بلده أمره الإمام بالذهاب إلى أحد البلدان الإسلامية لإقامة الحجة على رجال الدين هناك فقام بالدخول عليهم واحد تلو الآخر فلم يكن منهم إلا الصدّ والتكذيب وجَرَوا على سنن الماضين وما فعلوا بالصالحين فلاقى من كيدهم الأذى والعذاب في

بطون السجون وبعد المحاججات والدعوة إلى المباهلة والأقسام لم يروا بداً من إقصاءه إلى خارج بلادهم ليعود إلى أرضه، وقد سقط حكم صدام اللعين المتمثل بدولة بني مروان في آخر الزمان والتي تأتي بعدها دولة بني العباس الثانية ـ التي تكيد بالإمام المهدي حسب ما جاء في الروايات ـ فاستأنف العمل رغم قلة الناصر وشماتة القريب.

وبعد خطوات كثيرة قام فيها بتحدي الجميع وأثبت صدق دعواه بنشر الأدلة والبراهين وتحدى أهل العلم بعد أن رفضوا التصديق للقدوم للمباهلة وإهلاك الكاذب ولكنهم استمروا في غيّهم بالتكذيب ونصبوا له ولأنصار الإمام المكائد التي اضطرتهم إلى الهجرة من بلدهم إلى إحدى البلدان ليقيموا هناك الحجة على الناس، فبدأ العمل الدؤوب بتوزيع المناشير والإعلان عن قرب الظهور وبعد مراحل من التبليغ زُج السيد القحطاني ومن معه في السجون ولاقى من التعذيب ما لاقى، وكأن هذه الأمة مصرة على رفض الإمام فقالوا له بالحرف الواحد إن الإمام إذا جاء وخالف القانون فإننا سوف نزج به في السجون، وبعد شهور من السجن خرج السيد القحطاني ومن معه وعادوا إلى وطنهم، وبعد كل اختبار هناك قوم يرتدون وآخرون يؤمنون فطريق الحق مر والقابض عليه كالقابض على الجمر.

فرجع إلى بلاده ليبدأ من جديد السير في طريق الإمام عليه السلام فقام ببناء الفكر الصحيح وزرع بذور الهداية والتوحيد ليستعد الناس لاستقبال نور المهدي الموعود عليه السلام بعد أن رسم الباحثين والعلماء الصور الخرافية والأفكار الباطلة التي لا تمت إلى المهدي ويومه بصلة، فقام السيد القحطاني بمناقشة كل من كتب حول قضية المهدي عليه السلام وبين أخطائهم وانحراف أفكارهم وتفنيد ما جاء في كتبهم التي كتبت ترجماناً للأهواء النفسية والأفكار التعصبية.

وكذلك قام بدحض كل ادعاءات المدعين زوراً بأنهم جهات للإمام المهدي عليه السلام فقام بطرح الأدلة الصادقة على بطلانهم وبطلان السير في ركابهم وهذه الحركات ظهرت على وجه الخصوص في العراق ومنهم الحركة المولوية والسلوكية والباطنية والنبأية والبصرية.

فبسبب هؤلاء ونسب أنفسهم إلى الإمام المهدي عليه السلام زوراً وبهتاناً أصبح الناس ينفرون من قضية الإمام وذكره وكأنك إذا ذكرت الإمام اقترن ذلك الذكر بهؤلاء المتدعين وهذا هو الهدف الرئيسي لأعداء الدين الذين لفقوا أكثر هذه الحركات من أجل إبعاد الناس عن إمامهم المظلوم ليجعلوه وحيداً دون ناصر ولا معين فإذا خرج قضوا عليه، وهذا لن يتحقق لأنه وعد من الله ووعده سبحانه غير مكذوب.

وكذلك طرح تصحيح للمنهج التفسيري للقرآن والسيرة المباركة للمهدي عليه السلام وأحداث الظهور وشخصياته، وكل ما من شأنه إيصال الناس إلى الفهم الهادف والصحيح لتلك القضية الإلهية ليكونوا على درجة من القبول.

فبقي كل من في ساحة العلم حيارى عن الجواب بعد أن تحداهم بنقض ما جاءهم به من العلم فلم يستطع أحد من أؤلئك العلماء رد جواباً أو إبطال علماً لأن ذلك العلم نابع من فيوضات الإمام المهدي عليه السلام.

فبدأت المؤامرات تحاك ضده كما فعل بأسلافه من الصالحين وبعد مسير طويل في هذا الطريق بدأ السيد القحطاني بالتحدث إلينا بلهجة جديدة يلمح من خلالها بقرب الغيبة التي حدثنا عنها والتي تقع عليه يوم ما وقد توسم السيد بقرب الغيبة عندما فقد ولده الصغير في أحد الأحياء فقال السيد لنا: إن معنى ذلك في علم التوسم إنني سوف أغيب عنكم، وفي اليوم التالي وفي أحد شوارع بغداد وإذا بالأيدي الأثيمة التي صنعها

إبليس اللعين وأعوانه من شياطين الأنس العصاة المردة تمتد لتغتال هذا الجبل الأشم بإطلاق النار عليه وسقوطه شهيداً في سبيل خليفة الله في أرضة الإمام المهدي ﵇، لقد غادرنا هذا النموذج الفريد بعمر بلغ الثلاثين وعلى الرغم من صغر سنه إلا إنه طرح كل ما من شأنه تقويم الاعوجاج وإيضاح سبل السداد.

وتلك الأيام نداولها بين الناس ليعلموا أن لله آيات قد ظهرت وعلامات قد تحققت ونحن عنها غافلون وعن نورها محجبون ولعمري إن القدوم لآتي وان العذاب لمقبل كما إن الجحيم قد سعرت والجنة قد أزلفت فهل تعلم نفوسنا ما قدمت وأخرت أم إنها فرحة بما أجرمت ألم يحن وقت القول للباطل مُت ولعلم الشياطين أصمت، ألم يحن الوقت الذي نغير فيه نفوسنا حتى تستقبل أمامنا ولكي لا نقول له ارجع يابن فاطمة، ألم يحن الوقت لنلبي صرخة الحسين التي لازال صداها بيننا حتى اليوم، ألم يحن الوقت لإزالة درن الشيطان من قلوبنا وعقولنا بعد أن باتت علامات الجبار واضحة حتى للأعمى الضرير وآيات السماء شاخصة للبعيد والقريب لقد باتت عروش الظالمين مهددة بالزوال بعد أن أزيل الستار وبدأ عرض عصر الظهور الشريف على الناس فأين المفر للظالمين العصاة الذين أطمعوا الناس بزخارف الأوهام وقيدوهم بحبائل الشيطان وأجمعوا على وأد الوريث ونهب الميراث هيهات ثم هيهات فإن لهم يوم كيوم بدر وصرخة كصرخة الحبلى فالويل كل الويل لرؤساء تخموا ورعيتهم جياع ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

لقد ارتأينا أن نأخذ على عواتقنا نشر ما حصلنا عليه من علوم هذا الولي المقدام التي طرحها لعامة الناس في العراق لنشرها على أكبر عدد ممكن من المؤمنين وفي كل أصقاع العالم لتكون الفائدة أعم وأوسع والله من وراء القصد.

الأثر العلمي للسيد القحطاني

رغم صغر سنه إلاّ أن من عرفه وجده بحراً من العلم وله رؤية خاصة ونظريات علمية في الكثير من العلوم كعلوم القرآن والحديث والتأويل والطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وكان أكثر اهتمامه في قضية الإمام المهدي عليه السلام.

وله باع في تأويل الرؤيا والأحاديث والقرآن وعلم التوسم وله الكثير من المخطوطات التي لم يتمكن من نشرها في حينها حتى تلف البعض منها وضاع فقام بتلقينها لتلاميذه ودعاهم إلى الكتابة والتأليف فشمروا عن سواعدهم من أجل خدمة قضية الإمام المهدي وتفانوا في إيصال هذا العلم إلى جمهور المسلمين فجزأهم الله خير الجزاء، فصدر في حينها من تحت أيدي هؤلاء التلامذة المؤلفات الغزيرة التي تنم عن الفيض الإلهي الذي حظى به السيد وقد كتبت هذه الكتب على كثرتها والتي بلغت ما يقارب الأربعون كتاباً في وقت قياسي حيث لم تستغرق كتابتها سوى شهرين.

وقد تم جمع بعض هذه الكتب وحسب موضوعاتها في موسوعتين الأولى هي الموسوعة القرآنية وهي تعنى بعلوم القرآن ونظرياته التي طرحت لأول مرة في الساحة الدينية وفي شتى المجالات المتعلقة بالقرآن مثل نظرية تجزئة القرآن ورفع القرآن وتجدد القرآن ووراثة القرآن وتأويل الكثير من المفاهيم القرآنية والسور الشريفة، وكذلك طرح فيها علم الأبجد

بقراءة جديدة ومصححة للقراءات الخاطئة في هذا العلم من قبل العلماء السابقين وكذلك طرح علم التوسم الذي انفرد به ونظريات غاية في العمق والموضوعية ومنها نظرية التطابق الثلاثي وثنائية الجنس والعنصر الخامس والأطوار الخلقية والمشابهة بين الداء والدواء وغيرها من النظريات والعلوم الفريدة التي تجعل الفرد المسلم ينظر إلى القرآن نظرة جديدة.

أما الموسوعة الثانية فهي موسوعة القائم عليه السلام التي كانت عبارة عن زبدة بعض الكتب التي ارتأينا أن تكون بتناسق وترتيب خاص من أجل سهولة تداولها وجعل خصوصية لموضوعاتها فكانت هذه الموسوعة مختصة بتعريف الناس بإمامهم وتحيطهم بحركته المباركة وشخصيات عصر الظهور وكل ما يتعلق بهذه القضية المباركة بالتفصيل، وقد انفردت هذه الموسوعة بكتاب الرجعة وكيفيتها ورجعة المسيح والحسين عليهما السلام ومن يقرأ هذه الموسوعة تكون لديه قضية الإمام المهدي عليه السلام جلية بجلاء الشمس ووضوحها ليكون كل إنسان مؤمن مترقب على علم بدوره وواجبه تجاه هذا الأمر وتجاه إمام زمانه (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وقد قمنا بنشر ما لم تحتويه هذه الموسوعتين من كتب ونظريات خدمة لمولانا صاحب الزمان ووفاء لهذا الجبل الأشم (أبي عبد الله الحسين القحطاني) الذي ضحى بكل شيء من أجل هذا الهدف النبيل.

وستأتي للقارئ الكريم كتب أخرى فيما لم يدخل ضمن الموسوعتين من أبحاث ومؤلفات والتي يجد القارئ في طياتها ما يسد رمقه من العلوم التي تقرب إليه معرفته بإمام زمانه أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

ما صدر من فكر السيد
أبي عبد الله الحسين القحطاني

١ ـ الموسوعة القرآنية ـ ثلاثة مجلدات.

٢ ـ موسوعة القائم ـ ثلاثة مجلدات.

٣ ـ كتاب نظرية تجزئة القرآن.

٤ ـ كتاب نظرية تجدد القرآن.

٥ ـ كتاب نظرية رفع القرآن .

٦ ـ كتاب الوراثة في القرآن.

٧ ـ علم المنطق في القرآن.

٨ ـ كتاب الرجعة الروحية .

٩ ـ أطروحة رجعة الحسين عليه السلام.

١٠ ـ أطروحة رجعة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

١١ ـ عالم الذر بين القبول والرفض.

١٢ ـ كتاب علم التوسم .

١٣ ـ كتاب علم الأبجد.

١٤ ـ كتاب المشابهة بين الداء والدواء.

١٥ ـ سلسلة التأويل المعاصر ج١.

١٦ ـ سلسلة التأويل المعاصر ج٢.

١٧ ـ سلسلة التأويل المعاصر ج٣.

١٨ ـ كتاب اليماني .

١٩ ـ كتاب دابة الأرض.

٢٠ ـ الصيحة في مفهومها العلمي.

٢١ ـ كتاب صاحب هذا الأمر.

٢٢ ـ أبو سفيان في عصر الظهور.

٢٣ ـ أطروحة الدجال.

٢٤ ـ النفس الزكية .

٢٥ ـ الأوس والخزرج في عصر الظهور .

٢٦ ـ الكوفة مكة المهدي.

٢٧ ـ مدينة المهدي.

٢٨ ـ المهدي يدعو إلى إسلام جديد.

٢٩ ـ ويسألونك عن الرجعة.

٣٠ ـ فرق الضلالة في عصر الظهور الشريف.

٣١ ـ ويسألونك عن القائم.

٣٢ ـ الحسد في مفهومه العلمي.

٣٣ ـ العشائر ودورها في قضية الإمام المهدي عليه السلام.

٣٤ ـ المعقول واللامعقول في سيرة المهدي المنتظر.

٣٥ ـ السيد القحطاني يناقش السيد الخوئي.

٣٦ ـ السيد القحطاني يناقش السيد كمال الحيدري.

٣٧ ـ السيد القحطاني يناقش الشيخ علي الكوراني.

٣٨ ـ الإمام المهدي إرهابي في نظر أمريكا.

٣٩ ـ المرأة ودورها في قضية الإمام المهدي عليه السلام.

٤٠ ـ موسوعة المهدي يدعو إلى إسلام جديد ـ باللغة العربية/ باللغة الفارسية..

وقد أصدر السيد القحطاني في وقت صدور الطبعات الأولى من هذه الكتب صحيفة القائم عليه السلام الأسبوعية المختصة بقضية الإمام المهدي والقرآن وبلغت ٥٢ عدداً آنذاك..



المحتويات

الفصل الثالث

